جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بطنطا

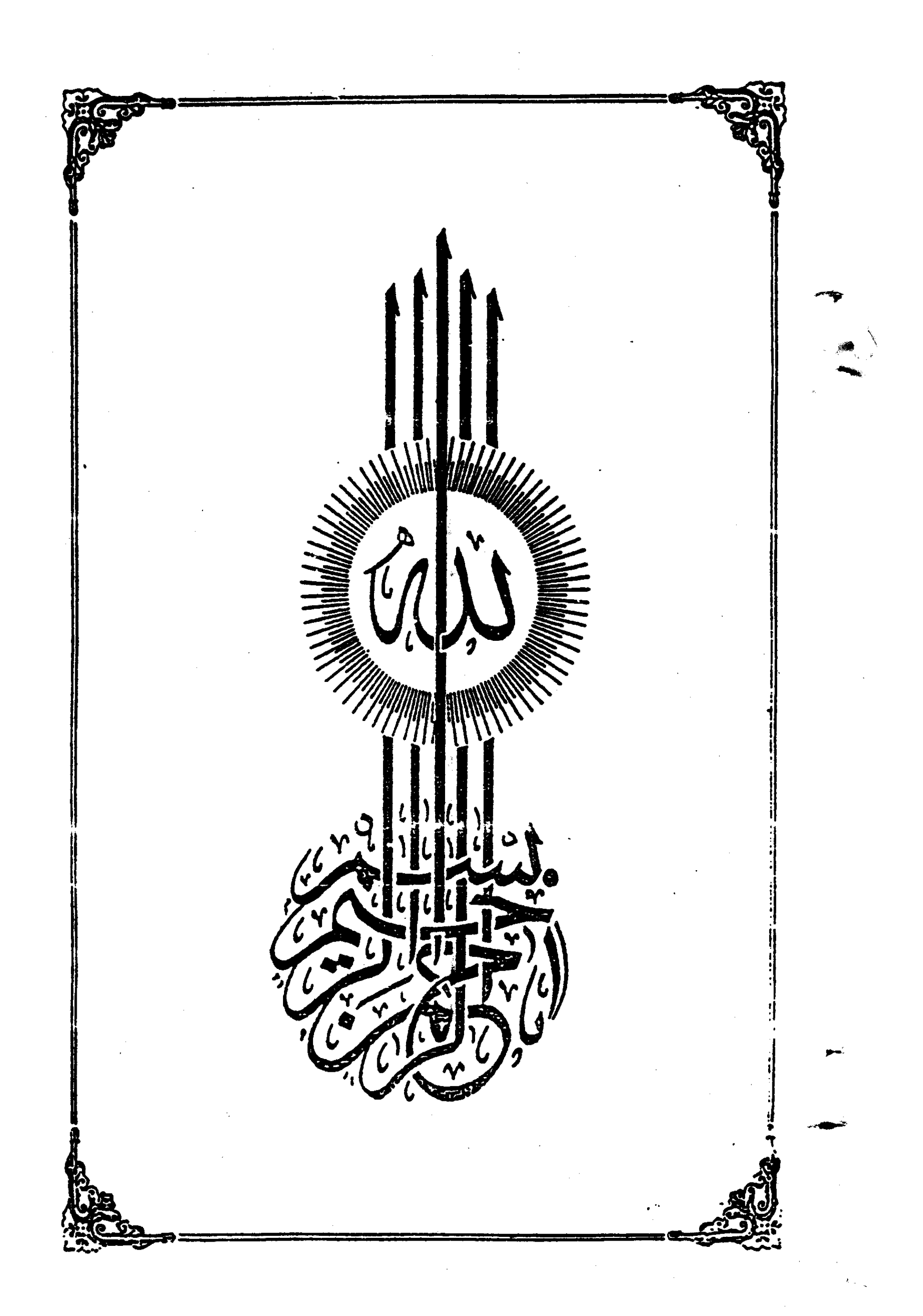
من قضايا العقيدة الإسلامية

للدكتـــور

جمال سيد أحمد شلبى

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ المقدمة ﴾

الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله لا شريك له هو المحسن الى جميع خلقه بما عمهم من فضله واحسانه ، الذى لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت مين لدنه أجرا عظيما " الذى خلق خلقه لعبادته ، وقواهم على طاعته وجعل لهم السبيل الى ماأمرهم به . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله .

وبعـد ﴿ . ﴾

فمن المعلوم أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وفطرهم على وحدانيته التى هى أساس رسالة الاسلام الذى هو الدين عند الله " ان الدين عند الله الاسلام " والذى لم يرتضى من خلقه دين سواه " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة

من الخاسرين" .

لذا فان التوحيد هو روح الحياة وعصبها ونغمتها العذبة ونداؤها الذى هتف به كل نبى ورسول منذ بداية البشرية بميلاد آدم عليه السلام الى أن ختمت الرسالة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فالتوحيد هو الهدف الأسمى وروحه هو تحقيق الايمان بالله تعالى أى جزم القلب بوجوده سبحانه وما يتبعه من صفاته الجليلة ، ونعوته الجميلة ، جزما بالغا النهاية ومتجاوزا من الحدود الغاية ، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك .

وانما يتم ذلك بالوقوف على مايقوى الفطرة من قواطع الدلائل ومسالع البراهين ، والبرهان سلاح الايمان يتقى به غمرة الشيطان .

ومن هنا فاننى أقدم نذرا يسيرا فى دراسة العقيدة وهى الموضوع الذى يحتاجه كل انسان وكل مجتمع يهدف الى سلامة فكره واستقامة سلوكه وصحة اعتقاده ، ولا سيما فى الوقت

الذى تطل فيه دعاوى الالحاد برأسها بين الحين والحين ، للنيل من الاسلام الذى تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .

لهذا فانى رأيت أن أقدم لطلاب العلم ماتيسر من معرفة علم التوحيد أملا أن أحاول قدر طاقتى تغطية جل مسائل هذا العلم مع بيان تمهيد فى حاجة البشر الى الدين والوقوف على تعريف علم التوحيد وبيان موضوعه وفائدته : ثم أعرض كمعالجة قضايا هامة . منها على سبيل المثال : قضايا النبوات وقضايا السمعيات . وقضية القول بخلق القرآن ، الى آخر هذه المسائل التى لها أهميتها لطالب العلم حتى يتسنى له الوقوف بعزيمة قوية ضد التيارات المناوئة بالأدلة القوية المتينة . .

" وأرجو من الله التوفيق فيما قصدت اليه من نفع . فهو حسبى ونعم الوكيل . "

د / جمال على

تمهيـد :ـ

حاجة البشر الى الديـن الحـق :ـ

ان الله تعالى خلق الانسان وميزه عن سائر الخلـق بنعمة العقل ، وبالعقل والفكر يتم النظر الذى يصل به الانسان لأسمى المراتب الايمانية ويكفى لبيان قيمة العقل ومعرفة قدره أن به يهتدى الانسان الى أنه لا بد أن يكون للكون مكون كونه ، وللخلق من خالق خلقه ، لهذا سعى الى عبادته وفق داعى الفطرة التى فطر عليها ، ولكن الانسان سرعان ماانحرف عن ذلك العهد الذى أخذه عليه المعبود الحق ، وعن وجوب افراده بالعبادة دون سواه بسبب العوائق التى حالت دون مواصلة العقل منهجه سواء أكانت هذه العوائق داخليه أو خارجية فاتجه بعض الناس الى عبادة الأوثان والاتجاه الى الأصنام من دون الله تعالى كما حدث فى بلاد العرب منذ قديم الزمان .(١)

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم التوحيد جـ ١ صـ ٣٤٤ لحافظ أحمد حكمى .

واتجه بعض آخر الى عبادة النجوم والكواكب كما فعل قوم ابراهيم (عليه السلام) واتجه آخرون لعبادة الأشخاص والأشجار والحيوانات وسائر مظاهر الطبيعة كما فعل اليهود والنصارى ..

وهذه الاتجاهات المنحرفة فى العبادة تعد أكبر انحرافات وقعت فيها البشرية من آدم (عليه السلام) الى بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهى كذلك لأنها تتعارض مع الفطرة التى فطر الله الخلق عليها ، واقتضت حكمة الله تعالى تعديل المسار وتقويم هذا الميل والانحراف الخاطئ، لاتمام ارجاع الناس الى المنهج الصحيح والفطرة القويمة فتجلت رحمة الله تعالى وفق حكمته وارادته ألا يترك الناس لعقولهم لأن العقل ربما اعتوره فتور أو غلبته شهوة ، أو حالت دونه عاطفة فيتبع فى الجسم هواه فيضل كثيرا حين يحاول الوصول لادراك مافوق طاقته ، ولا سيما ماوراء العالم المشاهد بمعنى اقحام نفسه فى معرفة العالم العلوى وما يتصل به وقس على ذلك كل ما هو غيب .

وإذا أردنا أن ندلل بمثال ليكون الأمر واضحا وجليا نسوق ماحدث للبلاد التي يحكي عنها التاريخ بأن لها ثقافات ، وفلسفات أقحمتها في معرفة الالهيات ، وكل ماهو غيب . هذه البلاد هي الصين وفارس ومن بعدهم اليونان وبلاد العرب وغيرها من البلاد ، غير أن هذه الفلسفة ليست في مجموعها سوى سجل يبين مدى إستحقاق العقل بالسخرية حيث جعل من البشر ومن الجمادات والحيوانات آلهة تعبد من دون الله تعالى ويتجه اليها بطلب الحاجات من دونه تعالى ، بل قد بلغ من ضآلة العقل وسخافة الفكر أن جعل هذه الالهة تتحاسد وتتحارب في سبيل النفع الدنيوي . (١)

وقد أدرك العقلاء أن الحياة لها هدف فاذا لا تستوى الحسنة ولا السيئة لذا فلابد من معيار للحساب ، ولما كانت طبيعة العقل قاصرة على أن ترسم المنهاج القويم لأمور الدنيا كان من مقتضى الحكمة الالهية ارسال الرسل والأنبياء

---

(١) الاسلام وحاجة الانسانية اليه ص ٢١ د / محمد موسى :

لقيادة الخلق الى الحق ولا يتأتى ذلك الا بدون محكم من عند الله لكى يصل الخلق الى الاعتقاد الصحيح الحق فى الله الواحد الأحد الفرد الصمد فكانت الكتب السماوية وكانت الشرائع التى جاء بها الأنبياء والرسل ليبينوا للناس الدين الحق والمعبود الحق المستحق للعبادة والطاعة والذل والانقياد له وحده دون سواه .

فالدين بمعناه اللغوى (بكسر الدال المشددة وضم النون) هو الطاعة والانقياد ، فيقال رجل متدين يعنى مستسلم منقاد ومطيع .

وعلى كل حال فان أول مايعن للباحث فى دراسة الدين وماهيته ومدلوله ومدى احتياج البشر اليه أو استغنائهم عنه والدور الذى يؤديه للانسان فى حياته .

أول مايعن للباحث : هو أن مقابل الدين من مدلولات وتفسيرات أنه جملة معتقدات لأشياء سماعية وغيبية ، ظاهرة وخفية ، يدركها الانسان بعقله وبصيرته وقلبه ، أم يعجز عن

ادراكها واحساسها وتصورها والالمام بها والحكم عليها . فالعقيدة في الدين اذا هي العقيدة لآراء ومبادئ وصفات وأحكام يطمئن الانسان اليها ويعمل بها ولها ، يخطو خطواته على ضوئها ويستضيء بهديها ، يكون أحكامه وتصوره للاشياء ، والناس من خلال منظارها .(١)

ولكن ربما يعترينا سؤالا يفرض نفسه علينا هو : هل يمكن لانسان عاقل متحضر أن يدب على ظهر هذه الأرض ،وأن يعمر في دنياه طويلا ، دون أن تكون له عقيدة ، أيا كانت هذه العقيدة؟

اذا أردنا أن نجيب على هذه السوءال فتقول : انه ليس من الممكن اطلاقا وجود انسان بلا عقيدة لأن العقيدة ليست شيئا جديدا على الانسان طارئا عليه يمكن أن يلغيها من نفسه أو يختر لها وينبو عنها وانما هي وجدت مع وجوده كانسان مدرك مستشعر لما يحدث له ، أو يصدر عنه أو يحيط به .

---

(١) هذا هو الاسلام : محمد عبد القادر العماوى ص ٣١ .

فالعقيدة اذن من مقومات انسانيته ، ومن بواعث نفرته من سلطة الغرائز الجبرية ، ومن تحلله شيئا فشيئا من صبغة الحيوان المسيطرة عليه ماديته والآخذة عليه كل سبيل من سبل التقدم والارتقاء .

ان ايمان الانسان الأول " البدائي " بالروح وخلودها وأن وراء حياته هذه حياة أخرى كان من البواعث التي حملته على التفكير والتأمل وبالتالي على تكوين مادة لعقله استعان بها على اليقظة والنهوض والعمل على هتك ماكان يكتنفه من سحب الجهالة والظلام . فلو لم توجد العقيدة بالروح التي يرجع اليها الفضل الأكبر في استثمار الحواس وعلى العقل والتي يرجع اليها بعد ذلك بواعث التفكير البشري والتأمل العقلي ومحاولة البحث عن حقيقة الوجود .

أقول لو لم توجد هذه العقيدة لما تأتى للعقل أن يخرج من جهالته ، ولا أن يبدد ماتكاثف أمامه من ابهام وظلام ، ولا تخذ له طريقا آخر يستعين به على نضوجه وادراكه ، وتطوره وارتقائه مع أننا لا نعرف طريقا آخر يمكن أن يستخدمه الانسان

فى هذا السبيل . ومع ذلك فنحن لا نتصور انسانا مهما أوتى من صفاء عقل ورجاحة فكر أن يعيش البتة من غير عقيدة أيا كانت هذه العقيدة ، فحتى الانسان الملحد لا يمكن أن نبرئه من العقيدة فانه فى حقيقته مؤمن بعقيدة ما ولكن فى وضع آخر وفى صورة أخرى .

من هنا يمكن القول أن العقيدة خلقت مع خلق الانسان ووجوده الوجود المدرك وأنها تبعث من طبيعته وكوا من نفسه ، وأنه من العسير عليه أن يستغنى عنها أو يحيا بدونها سواء رضى ذلك أم لم يرضه ، وسواء أدرك ذلك أم لم يدركه .

والخلاصة التى يمكن أن نخرج بها من هذا التمهيد هى أن الدين لازم للبشر لزوم الماء والهواء للانسان والحيوان والنبات ، ضرورى له فى الانسانية ضرورة لا محيص منها ولا محيد عنها وان الدين الاسلامى هو آخر الأديان السماوية وأقواها وأصلحها وأعظمها مرونة وأكملها ، فاليوم تم الدين فلا يزاد عليه وكمل فلا نقصان منه . قال تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (صدق الله العظيم) .

تعريف التوحيد

التوحيد لغة : مصدر وحد بتضعيف الحاء ، وهو العلم بأن الشيء واحد واصطلاحا : عرفه العلماء بتعريفات متعددة : منها : تعريفه : بأنه علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية .(١)

ومنها : تعريفه بأنه عدم الشرك في الألوهية وخواصها بمعنى : افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفاتا وأفعالا .(٢)

ومنها : تعريف ابن خلدون وهو : أنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وأصل العقائد الايمانية هو التوحيد .(٣)

---

(١) الجوهرة : شرح البيجوري ص ١٩ .
(٢) المسايرة في علم الكلام للعلامة بن الهمام ص ٤ .
(٣) المقدمة : ابن خلدون ص ٣٩٠ .

وفى هذا اشارة الى أن الاعتقاد عند المتكلم سابق على الاستدلال ، فالمتكلم يعتقد أولا ثم يدلل على صحة اعتقاده .

ومنها تعريف النسفى له بأنه العلم الذى يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه (١) .

وعرفه السعد التفتازانى فقال : " انه العلم بالعقائد الدينية الناشىء عن الأدلة اليقينية " (٢)

ومنها تعريف التهانوى له بأنه : " علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه " ... الى آخر هذه التعريفات التى ان دلت فانما تدل على أن الغاية من علم التوحيد هى الدفاع عن عقائد السلف الصالح أو العقيدة الاسلامية السليمة بعيدا عن التشويش ودفع شبه المبتدعة المخالفين للعقائد الصحيحة .

وفى هذا اشارة الى أن علم التوحيد مرادف فى المعنى والموضوع

---

(١) توضيح العقائد النسفية د / سليمان بن خميس ص٨

(٢) المواقف ج ١ ص ٣٤ ، ٣٥ .

لكل من علم أصول الدين ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه الأكبر .

وإذا ماأمعنا النظر في التعريفات السابقة استطعنا سريعا أن نلم بموضوع العلم وقضاياه ووجدناها شاملة للبحث في ذات الله وصفاته من حيث مايجب وما يجوز وما يستحيل وفي الممكن من حيث أنه يستدل به على وجود صانعه ، وفي السمعيات من حيث اعتقادها .

وعلم التوحيد على هذا النحو من أشرف العلوم وأجلها ؛ لماذا ؟ ـ ذلك لشرف موضوعه ونفع ثمرته اذ العلوم تسمو بسمو موضوعها وتعلو بعلو مسائلها ، وليس هناك أعظم وأجدر وأطهر من علم موضوعه ومسائله تبدأ وتدور حول الذات الالهية وصفاتها وأفعالها وحكمتها وغاية هذا العلم معرفة الذات الأقدس ـ واليقين بأحديتها الذاتية ورد كل شئ الى تدبيرها .

والتوحيد بهذا المعنى هو مادعا اليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه جاء بكتاب من عند الله فيه الأمر بوجوب افراد الاله بالعبادة واتصافه بما يليق به من صفات الكمال وتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل نقص .

وعلى هذا فان التوحيد الشرعي : يشتمل على جانبين الأول منهما : مايرجع الى العمل · والثاني : مايرجع الى الاعتقاد ·

وقد كثر الحديث لدى علماء الكلام في التوحيد الاعتقادي مع اغفال الحديث عن التوحيد العملي · مما يترتب عليه انتشار وشيوع فكرة خاطئة لدى الناس ، وهي أنه يكتفي في التوحيد اعتقاد أن الله واحد ، وان لم يوحدوا توحيدا عمليا مما ساعد على تدهور المسلمين سلوكيا وجعلهم غرباء في الاسلام يرتدون زيه ولا يعرفون منه الا شكله ورسمه وأصبحوا أعاجم أمام تعليماته وما جاء به ، ولبيان بطلان هذه الفكرة الخاطئة يجب أن نلفت الأنظار الى أن مشركي العرب كانوا موحدين توحيدا اعتقاديا واكتفوا بهذا الاعتقاد دون ممارسته عمليا وسلوكيا وتعبديا ، ومع هذا لم ينقذهم توحيدهم من عذاب الله في الدنيا ولا في الاخرة ، وقد عرض القرآن الكريم لمثل هذه الأمور في آيات كثيرة يبين فيها أن العرب يعتقدون في وجود الاله ولكنهم كانوا يحبذون الوساطة في القربى اليه ، ولم يصلوا الى التوحيد الخالص في الاعتقاد والسلوك · قال

تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله " (١) وقولـــه : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيـــز العليم " (٢) ، وقوله " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " (٣)

يتضح لنا من هذه الآيات السابقة أنها تبين بوضوح أن المشركين لم يكونوا يعتقدون فى معبوداتهم من دون الله خالقيه ولا رازقيه ولا تدبيرا للكون وليس لهم فيها من قوة ولا سلطان غير أنهم كانوا يلجأوهم اليهم فى كشف كروبهم ويجعلونهم وسطاء يستشفعون بهم لدى خالقهم فى قضاء حاجتهم وهذا اعتقاد فاسد وخاطئ .

ولقد أشار القرآن الكريم الى أن عبادتهم لغير اللـــه تعالى كانت دعاء كغثاء السيل لا فائدة فيه . قال تعالـــى : " ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهـــم

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٧ .

(٢) سورة الزخرف آية ٩ .

(٣) سورة لقمان آية ٢٥ .

فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين "(١) . وقوله تعالى : يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذون منه ضعف الطالب والمطلوب "(٢)

من كل هذا نخلص الى أن الايمان قول واعتقاد وعمل فاذا لم يتم بهذه الأركان لم يكمل التوحيد ولا يتم الاعتقاد الصحيح .

موضوع علم التوحيد :-

من البدهي أن العلوم تتمايز بتمايز موضوعاتها هذا التمايز يعطى العلم ماهو جدير به من العناية والاهتمام وعلم التوحيد هو العلم الذى يبحث في ذات الله من حيث مايجب وما يجوز وما يستحيل في حقه تعالى . وكذلك النبوات والسمعيات من حيث اعتقادها والايمان بها اعتمادا على اخبار الرسل .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٤ .

(٢) سورة الحج آية : ٧٣ .

اذا فموضوع علم التوحيد محصور فى البحث من الواجبات والجائزات والمستحيلات (واثبات الوحدة لله فى الذات والفعل فى خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كل قصد) (١)

ومسائل علم التوحيد اما أن تكون عقائد دينية كاثبات القدم والوجود للصانع واثبات الحدوث وصحة الاعادة للاجسام وجميع الممكنات واما أن تكون قضايا تتوقف عليها تلك العقائد كتركيب الجسم من الجواهر الفردة وجواز الخلاء وانتفاء الحال وعدم تمايز المعدومات المحتاج اليها فى اعتقاد كون صفاته تعالى متعددة موجودة فى ذاته والشامل لموضوعات هذه المسائل هو المعلوم المتناول للموجود والمعدوم .

فان حكم على المعلوم بما هو العقائد الدينية تعلق به اثباتها تعلقا تقريبيا وان حكم عليه بما هو وسيلة اليها تعلق به اثباتها تعلقا بعيدا .

---

(١) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٤ ، ٥ .
وعلى الجوهرة ص ١٣ .

فائدة علم التوحيد :ـ

ان غاية علم التوحيد (هى معرفة الذات العليا ، واليقين بأحديتها الذاتية ، والفعلية ورد كل شئ الى تصديقهما وتدبيرها ، علاوة على أن هناك فوائد كثيرة لهذا العلم يمكن حصرها على النحو التالى :ـ

١ ـ انه يكمل النفس بمعنى أنه يرفعها من حضيض التقليد الى ذروة اليقين ، قال تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (١) خص العلماء المؤمنين رفعا لمنزلتهم وعلو لقدرتهم وذلك لامتيازهم بالعلم فكأنه قال وخصوصا هؤلاء الأعلام منكم . (٢)

٢ ـ بالنظر الى تكميل الغير وهو ارشاد المسترشدين بايضاح الحجة لهم الى عقائد الدين والزام المعاندين باقامة الحجة عليهم فان هذا الالتزام المشتمل على تفضيح المعاند ربما جره الى الأذعان والاسترشاد فيكون نافعا له و مكملا اياه وبهذا

(١) سورة المجادلة آية ١١ .
(٢) شرح المقاصد : سعد الدين التفتازانى جـ١ صـ ٤ ، ٨ .

تتحقق الفائدة في هذه الناحية .

٣ — بالنظر الى أصول الاسلام فهو حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبهة المبطلين حيث أن باثباتها تثبت جميع الفروع فينتظم أمر الناس في الدنيا وتتحقق السعادة .(١)

٤ — بالنظر الى فروعه هو أن ينبني عليه العلوم الشرعية بمعنى أن ينبني عليه ماعداه منها لأنه أساسها واليه يؤول أخذها واقتباسها فانه ان لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسل منزل للكتب لم يتصور علم تفسير ولا علم فقه ولا علم أصول الفقه لأنها جميعها تتوقف على علم التوحيد فهو أصل العلوم ، اذ — كلها مقتبسة منه ومبنية على أساسه ، فالآخذ فيها بدونه كمن شيد بنيانا على غير أساس أو كمن صنع بيتا في الهواء واذا سئل عما هو فيه لم يقدر على برهان ولا قياس بخلاف المستنبطين لها منه فانهم كانوا دائما عالمين بحقيقته مسلحين بأسلحته .

وأما مقصده الأسمى والهدف الأعلى من انشاء علم التوحيد تراه واضحا في الحفاظ على مسائل العقيدة الاسلامية من تشويش

---

(١) — المواقف ج ١ ص ٤٩ .

المبطلين المعاندين بالأدلة اليقينية القوية وحراستها حراسة جيدة ، ويصور الأمام الغزالي هذا القصد في كتابه المنقذ من الضلال نراه يقول (وانما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده على لسان رسوله " عقيدة هي الحق ، على مافيه من صلاح دينهم ودنياهم - كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة في أمور مخالفة للسنة فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين - علماء التوحيد - وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله) [1]

---

(١) المنقذ من الضلال : الامام الغزالي ص ٩٦ - ٩٩ ، مطبعة : حسان .

أسماء علم التوحيد :ـ

كثير من العلماء أولوا هذا العلم عناية فائقة لدرجة أنهم لم يكتفوا بتسمية لهذا العلم ولكنهم أطلقوا عليه أسماء عديدة ليزداد طلاب العلم فى طلبه ويكبوا على دراسته بكثرة الهمم القوية والعزائم النشطة لما فيه من عظمة قيمته ورفعة مكانته وسمو شرفه ٠

اننا لم نجد علما من العلوم تزاحمت عليه الأسماء مثلما رأينا ذلك فى علم " التوحيد " وهى كلها تقع على مسمى واحد ، اذ اختلاف الاسم لا يعنى الاختلاف فى المسمى ٠

نراه مرة يتسمى " بعلم الكلام " لماذا ؟ لأن مسألة كلام الله هى المسألة التى كثر حولها الخلاف والجدل فى القرون الأولى وهذه المسألة هى محل دراسة ان شاء الله فى هذا المنهج نتناولها بالتفصيل فى حينها ٠

وقد يتسمى بعلم التوحيد لأن هذه مسألة خاصة بتوحيد الذات والفعل بالنسبة للذات العلية ٠

وأحيانا يسمى لعلم العقائد ، لأنه يبحث في العقيدة الدينية سواء منها مايتصل بالألوهية أو بالرسل ، أو باليوم الآخر .

وأحيانا يسمى بعلم أصول الدين لأن مباحثه تدور حول العقائد وهى أصل لغيرها من الأحكام الشرعية .

وأحيانا يسمى بعلم الفقه الأكبر وذلك لتمييزه عن العلم الذى يبحث في الأحكام الشرعية الفرعية المسمى بالفقه . والعلم الذى يبحث في أدلة الأحكام الشرعية وحجيتها وهو علم أصول الفقه ، فكلا العلمين يبحث في الأحكام الشرعية ، ولكن لكل منهم موضوعه الذى يميزه عن غيره من سائر العلوم الأخرى . (١)

---

(١) المواقف جـ ١ ص ٤٤ ، ٦٦ . والمقاصد جـ ١ ص ٨ .

أولاً: النبوات

مبحث النبوة والرسالة

حاجة الانسان الى الرسول :-

لقد خلق الله الانسان وزوده بوسائل المعرفة التى بواسطتها يعرف أن له خالقا كاملا كما لا مطلقا ، له من القوة والسلطان مايليق به كاله - ولقد بين الله سبحانه أن هذه الوسائل منها ماهو ظاهرى كالحواس الخمس السمع والبصر واللمس والشم والتذوق ، ومنها ماهو باطنى ووجدانى كالحس المشترك والادراك العقلى ، قال الله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " ثم بين الله سبحانه أن العقل هو عماد المعرفة والفهم والنظر المنتج لتمام المعرفة والايمان فقال عز وجل " قل انظروا ماذا فى السموات والأرض" والنظر هنا بالعقل لأن النظر فى الشئ يكون بالعقل ، والى الشئ يكون بالحس ، ولذلك كان العقل هو مناط التكليف ، فخاطب الله تعالى أولى الألباب.

والعقول بما أراد من تكليف بالعقائد والشرائع ، ولم يخاطب غير العقلاء لأن خطابهم بالتكليف عبث لا يليق بالحكيم .

ومن هنا نرى أن العقل هو رسول المعرفة في الانسان ويمكن أن يعتمد الانسان عليه في معرفة الله عز وجل ، لأن معرفة الله كامنة في داخل الانسان الى ذاته ، فمنها يستطيع الوصول بسهولة الى وجود خالق يحتاج الانسان اليه ، لأن الانسان فان ، ولا بد له أن يعتمد في وجوده على باق يعطيه كل مقومات وجوده ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من عرف نفسه فقد عرف ربه " ولعل هذا هو ما أراد الله سبحانه أن يلفت نظر الانسان اليه في قوله عز وجل " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " وهذا أيسر الطرق وأبسط المناهج في السير الى معرفة أن هناك الها واحدا يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص .

ولكن قد يضل الانسان وينحرف في الاقتصار على العقل حين يتوجه الى معرفة الله عز وجل ولا سيما خصائص الاله التي تميزه عن سائر الموجودات ، وصلة الانسان بالاله من المسائل الوعرة الصعبة المسالك ، لذلك كان الانسان في حاجة الى من يظا هره حتى يبلغ غاية المعرفة ، وهذا الظهير هو الرسول وما أحسن بيان الشهرستاني في وصف الرسول في بشريته بقوله " بشريته فوق بشرية النوع ، مزاجا واستعدادا وملكيته فوق ملكية النوع الآخر ، قبولا ، وأداء ، فلا يضل ولا يغوى بطروق البشرية ولا يزيغ ولا يطغى بطروف الروحانية ، فيقرر أن البارى واحد ".(١)

وتأكيد في الملأ لا على الرضا عمن انقاد له والعنة على من خالفه فأخبر الناس بذلك وألزمهم طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " لقد

(١) الملل والنحل : الشهرستاني تحقيق د / بدران ص٣٩ .

جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ، فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ".(١)

فمهمة الرسول هي التنبيه والتذكير وهي ضرورية جدا ، اذ هو الذى يوجه العقل ويهديه الصراط المستقيم بعد حيرته وتردده ، والرسول هو الموعظة من الله وهو الشفاء لما في الصدور وهو الهدى والرحمة والنور . قال عز من قائل " يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين "(٢)

وما أحسن قول الرازى في ذلك " ففي البعثة النبوية تنبيه للغافلين الذين سيطرت عليهم الأهواء والشهوات حتى يبتعدوا عن مزالق الهاوية ، وفيها تذكير للعقول بأن فعل السوء يقود صاحبه الى النار وعمل الخير يأخذ بيد صاحبه الى الجنة " (٣)

(١) آخر سورة التوبة . (٢) سورة يونس آية ٥٧ .
(٣) الرازى : محصل أفكار المتقدمين ص ٢١٤ ، ٢١٥ تحقيق طه عبد الرؤف .

ومن هنا يمكن القول بأن الانسان محتاج الى من يقوده فى معرفة البارى وأوامره وتعاليم الدين كلها ولا بد أن يكون من بنى جنس الانسان . ولا شك أن الناس فى حاجة ماسة الى النبوة حاجتهم الى الهواء الذى يتنفسونه ، لأن الأنبياء هو العنصر الروحى الذى يقود الانسان الى معرفة الله تعالى وبهم ينكشف مايحسن فعله ، ويهديهم ويأخذ بيدهم الى مدارج الكمال النفس من حيث على الأخلاق الكريمة وتفور من كل مايشين المروءة ويحط من شأن الانسان وقيمته .

فالنبوة : هى أنباء الله بعض عباده بشرع يعمل به ، فان أمر بتبليغه الى قوم مخالفين فى العقيدة كان نبيا ورسولا ، ويكون نبيا فقط ان أمر بالتبليغ للمؤمنين ، دون المخالفين فى العقيدة .

والرسالة : هى بعث الله من اصطفاهم من عباده

الى المكلفين ليبلغوهم عنه تعالى ما أراد تبليغه ليزيح بهم علل فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة . (١)

الغرض من بعثة الرسل :-

الغرض من بعثة الرسل هو الدعوة الى عبادة الله واقامة دينه قال تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (٢)

وقوله : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٣) وهنا كثير من الآيات الدالة على ذلك .

وهناك تعاليم عالية هى فى غاية الأهمية ولا يمكن للبشر أن يصلوا اليها بعقولهم . وانما يتعلمونها بوحى من الله عن طريق الرسل منها عبادة الله واقامة

(١) البراهين الواضحة للعقائد الاسلامية د / عبد العزيز سيف النصر ص ١١٤ . (٢) سورة الأنبياء آية ١٥ .
(٣) سورة النحل آية ٣٦ .

الدين بكل تعاليمه وتنظيم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ... الخ هذه التعاليم .

قال تعالى : " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين " (١)

وبهذا لا تنهض حجة من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطا . قال تعالى " وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون ان الله بكل شئ عليم " (٢)

قال ابن كثير : يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل : انه لا يضل قوما الا بعد ابلاغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على

---

(١) سورة الجمعة آية ٢ .
(٢) سورة التوبة آية ١١٥ .

الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . (١)

من هنا تتضح مهمة الرسل بيان العقائد الالهية للناس وتعريفهم بربهم على ما مر - واصلاح حال الجماعة الانسانية في المعاش والمعاد .

واذا كانت الرسالات الالهية يجعلها دائما الى خلق الله أنبياؤه ورسله ، فما هو معنى النبى ؟ وما هو معنى الرسول . ؟؟

---

(١) سورة فصلت آية ١٧

الفرق بين النبي والرسول :-

قبل أن نظهر الفوارق بين النبي والرسول يتحتم علينا أن نبرز مصدر اشتقاق النبي .

يقول صاحب المواقف هو لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي فقيل هو النبيء من النبأ لانبائه عن الله تعالى ، وقيل من النبوة وهو الارتفاع لعلو شأنه وقيل من النبي وهو الطريق لأنه وسيلة الى الله تعالى . (١)

ويقول سعد الدين في مقاصده " اختلف في مصدر اشتقاق النبي - فان كان من النباوة - وهو الارتفاع لعلو شأنه واشتهار مكانه ، فالنبوة على الأصل كالأبوة ، وان كان من النبأ وهو الخبر لانبائه عن الله تعالى ، فعلى قلب الهمزة واوا ثم الادغام . (٢)

---

(١) عضد الدين الايجي : المواقف المرصد الأول من الموقف السادس ص ٣٣٧ .

(٢) شرح المقاصد : لسعد الدين التفتازاني جـ٢ ص ١٣٣ .

وبيانـه أن لفظ النبى يستعمل بالياء المشددة " نبى " فهو حينئـذ مأخوذ من النبـوة وهو المرتفع من الأشيـاء ، وذلك لعلو شأن النبى على نظرائه من خلق الله باصطفائـه اياه وجعله نبيا وهو يختار من أرفع الناس شرفا وحسبا ونسبـا وقد يستعمل مهموزا " نبىء " ويكون مشتقا حينئذ من النبـأ الـذى هو الأخبـار والانباء والاعلام من الله عز وجل بالعقيدة والشريعـة على ماتقـدم .

أما المعنى الاصطلاحى للنبى ، فقـد عرفوا النبى بأنـه انسان بعثة الله لتبليـغ ماأوحى اليه . وعرف بعض العلماء النبى فى الاصطلاح أيضا بأنه انسان ذكر حر من بنـى آدم سليـم من طبـع منفـر أوحى الله اليه بشـرع ليعمـل به سواء أمر بالتبليـغ أم لم يؤمـر . (١)

وأما فى العرف : فهو عنـد أهل الحق من قال له اللـه "أرسلتـك " أو بلغهـم عنـى ونحوه من الألفاظ ، ولا

---

(١) د / محمود عبد المعطى بركات : قضايا النبوات ص ١٨

يشترط فيه شرط ولا استعداد ، بل الله يختص برحمته من يشاء من عباده وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وهذا بناء على القول بالقادر المختار . (١)

هذا عند أهل الحق أما اذا ذهبنا الى جماعة الفلاسفة وجدناهم يشترطون فى النبى ثلاث شروط :-

١ - أن يكون له اطلاع على المغيبات .

٢ - أن يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة .

٣ - أن يرى الملائكة مصورة ويسمع كلامهم وحيا . (٢)

واستمع الى قول الفلاسفة بعد توافر هذه الشروط فى النبى " من أجتمعت منه هذه الخواص انقادت له النفوس المختلفة ، وذلت له الهمم المتفاوتة على ماهى عليه من اختلاف الآراء ، فيصير سببا لقرار الشريعة التى بها يتم التعاون الضرورى لنوع الانسان ... ولولا شريعة ينقاد

---

(١) المواقف ص ٣٣٧ .
(٢) نفسه ص ٣٣٧ .

لها الخاص والعام لا نحصر أبعث كل نفس الى مايريده غيره ، فحصل التنازع ، وأدى الى التشاجر والتقاتل والتناحر وشمل الهرج والمرج واختل أمور المعاش والمعاد . »(١)

أما تعريف الرسول فى الاصطلاح : يكاد يتفق مع النبى فى أنه انسان ذكر حر من بنى آدم سليم من طبع منفر أوحى الله اليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه ، الخلاف يكاد يذكر فقط فى التبليغ عما أوحى الله اليه فانه فى الرسول شروط بالتبليغ وأما فى النبى لا يشترط فيه ذلك ونريد أن نبين العموم والخصوص بينهما حتى تتضح الرؤية أكثر وأوضح :

قال جمهور المعتزلة وبعض متأخرى الأشاعرة أنهما متساويان فى المعنى ولا وجه للعموم والخصوص ، فالرسول هو انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ الأحكام اليهم ومثله النبى . ومن هؤلاء السعد التفتازانى أيضا ....

---

(١) المواقف فى علم الكلام ص ٣٣٨ .

أما جمهور الأشاعرة تراهم يقولون بأن النبي أعم من الرسول لأنه يشترط في الرسول أن يكون صاحب كتاب وشريعة متجددة ، بخلاف النبي فانه لا يشترط فيه ذلك كما يشترط التبليغ في الرسول أيضا بخلاف النبي ، اذا فالنبي أعم من الرسول فكل رسول نبي ولا عكس .(١)

وبعضهم ذهب الى أن الرسول أعم من النبي لأن : الرسول يتناول الملك . بخلاف النبي فهو مختص بالانسان ، قال سبحانه في جبريل رسوله " فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا رسولا" ثم قال لها " اني رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " .

هذا ويذهب الامام ابن تيمية الى قول آخر في بيان المعنى للنبي وللرسول ، نراه يقول " أن النبي : هو الذى ينبئه الله تعالى ، فان كان مع أنبائه بما أنبأه الله قد أرسل الى قوم خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله فهو رسول . وأما ان كان يعمل بشريعة الرسول

(١) د / عبد العزيز سيف النصر : البراهين الواضحة ص ١٢٥ .

قبلـه ولم يرسل هو الى أحد ليبلغـه عن الله رسالة ، فهـــو نبى وليس برسول ، قال تعالى " وما أرسلنا من قبلك مــــن رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيتــــه " (فقال من رسول ولا نبى) فذكر الارسال الذى عم النوعيــن ولكنه خص أحدهما بأنه رسول ، واذن فهو الرســـول المطلق الذى أمر بتبليغ رسالته الى من خالف الله تعالــى كنوح عليه السلام .

أما الأنبياء : فانهم يأتيهم وحى من الله تعالــى بتضمن مايفعلونـه ، ومع ذلك يأمرون به المؤمنين والذيـن عندهم لكونهـــم مؤمنين بهم ، وذلك مثل أهل الشريعـــة الواحدة الذين يأخذون عن العلماء مايبلغونهم عن الرسول ، وذلك مثل أنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا يأمرون بشريعة التوراة ولا يمنع هذا أن يوحى الله الى أحدهم وحيا خاصا فـى قصة معينة ذات معنى خاص من شريعة التوراة كالعالـــم الذى يفهمه الله فى قضية مامعنى يطابق نصا من القــرآن الكريـــم ، كما أفهمه الله سبحانه سليمان حكم

القضية التي حكم فيها هو وداود عليه السلام ومع ذلك فهما مبعوثان على شريعة التوراة . (١)

وتحقيق القول في هذا أن في قول الله تعالى في الآية السابقة " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " دليل على أن النبي مرسل من عند الله ولكنه لا يسمى رسولا ، على وجه الاطلاق ، لأنه لم يرسل الى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق .

كما أنه ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ، فان يوسف عليه السلام كان رسولا ولكنه على ملة ابراهيم عليه السلام . قال تعالى " ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا "(٢) . وكان داود وسليمان عليهما السلام رسولين وكانا على شريعة التوراة فبين الله أنهما من الرسل من قوله تعالى " انا

---

(١) البراهين الواضحة ص ١٢٦ .
(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا " (١)

واذا كان هذا هو معنى النبى والرسول ينحصر فى اختصاص العبد بسماع وحى دين الله بحكم شرعى تكليفى أمر بتبليغه فى حق الرسول ولم يؤمر بتبليغه فى حق النبى الا أن هناك شروط يجب توافرها فى الأنبياء والرسل على حد سواء . فما هذه الشروط ؟

١ - يشترط فى كل من النبى والرسول أن يكون من بنى جنسه وذلك واضح من خلال تعريف كل منهما .

وذلك لأن الرسول والنبى مبعوث الى بنى الانسان والحكمة تقتضى أن يرسل الله اليهم من هو من جنسهم ليألفوه ويتلقوا عنه عقائدهم وشرائعهم . ولما أرسل الله لهم رسله من بنى جنس البشر عاندوا واستكبروا

(١) سورة النساء آية ١٦٣ .

وقالوا لو شاء ربك لأنزل ملائكة ، وقالوا أيضا : ماهـذا الا بشر مثلكم ، وقالوا : لولا أنزل عليه ملك .. الـخ هـذه الأمور ..

ومن هنا قال الله تعالى " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون " (١)

٢ - الذكور :

فالذكورة شرط من الرسول ، وذلك لأن المرأة لا تصلح لهذه المهمة الصعبة في ذلك يقول المولى جل شأنه " وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم " .

٣ - الحرية :

فالرسول يبعث من السادة لا من العبيد ، لأن العبودية تحول بينه وبين أداء رسالته ، وتمنعه من الكفاح في سبيل دعوته لأنه ليس ملكا لنفسه بل في سيطرة غيره

---

(١) راجع تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٦ ، ٧ .

ومن ثم ليس حرا فى تصرفاته وهذا يتنافى مع جناب من اختصهم الله عز وجل فى تبليغ دعوته الى الناس .

٤ - السلامة من المنفرات والآفات :-(١)

وذلك لأن من شأن الرسول أن يكون مستقيم الخلقة والخلق . فلا يكون منفرا من الناحية الخلقية كأن ا يكون قبيحا أو مريضا مرضا معديا منفرا .

ومن المنفرات أيضا الأمور المخلة بالمروءة كالأكل على الطريق وما شابه ذلك .

---

(١) راجع فى ذلك : د / محمود عبد المعطى بركات قضايا النبوات ص ٢٠ : ٢٣ .

حكم ارسال الرسل :-

اختلفت الآراء والمذاهب في حكم ارسال الرسل من قبل الله ، فذهب أهل السنة الى أن ارسال الرسل جائز عقلا وواقع فعلا .

فانه جائز عقلا ، لأنه فعل من أفعال الله تعالى .. وقد ثبت أن أفعال الله لا يجب ولا يستحيل شيء منها عليه تعالى .

أما انه واقع فعلا ، فلأنه قد ثبتت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه فيما أخبر به . وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الله أرسل رسلا كثيرين لنا بعضهم .

وذهبت المعتزلة الى أن بعثة الرسل ، واجب عقلا على الله تعالى ، وذلك انطلاقا من أصلهم في وجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى وقالوا ان الله لن يفعل الا ما هو أصلح لعباده ، ولأنه خلق العالم لغرض وغاية وحكمة ، ولأن العمل دون غاية تبرره أو حكمة يتوجه اليها ويستهدفها

يصبح عبثا .(١)

من هنا أوجبوا على فعل الأصلح للانسان في دينه ودنياه ليس هذا فقط بل قالوا ان النظام المؤدي الى صلاح حال النوع الانساني على وجه العموم في معاشه ومعاده لا يتم الا ببعثة الرسل . وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى لكونه لطفا وصلاحا للعباد .

وهذا المذهب مردود عليه . لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء وأن الله عز وجل لم يدخر عن عباده شيئا مما علم أنه اذا فعله بهم أتوا بالطاعة والتوبة . وليست على طريق الوجوب بل على سبيل الوصول الى النفع ودفع الضرر .وعليه فلا يجب على الله الفعل لأنه صلاح أو أصلح " لأنه تعالى لا يفعل مع عباده الا ما ينفعهم لأن أفعاله كلها حسنة . (٢)

---

(١) القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف ص ١٢ ، ١٧١ .
(٢) القاضي عبد الجبار : المغني الأصلح ج ١٤ ص ٣٢ ، ٣٣

وقال الفلاسفة بالوجوب أيضا لكونه سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الالهية .

كذلك قال بالوجوب بعض المتكلمين ، ولكن الحق ماذهب اليه الأشاعرة من أهل السنة من أنها لطف من الله تعالى يحسن فعله ولا يقبح تركه يقول صاحب المقاصد :-

" فالحق أن البعثة لطف من الله تعالى ، ورحمة يحسن فعلها ولا يقبح تركها على ماهو المذهب في سائر الألطاف ، ولا تبتنى على استحقاق من المبعوث واجتماع أسباب وشروط فيه ، بل الله يختص برحمته من يشاء من عبادة وهو أعلم حيث يجعل رسالته . (١)

---

(١) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ صـ ١٢٩ .

حكم الايمان بالرسل والانبياء :-

الايمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الايمان منكره كافر وذلك وارد في القرآن الكريم قال الله تعالى "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" (١)

وأورد صاحب الجوهرة الأقوال في عدد الرسل والأنبياء فقال " اختلف في عدد الأنبياء : فقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفا . وأعداد الرسل فقد اختلف فيه على الأقوال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أو أربعة عشرة أو خمسة عشرة ، ولكنه عقب بعد ذلك على هذه الأقوال قائلا : والأسلم الامساك عن ذلك لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " (٢) وقوله تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ . (٢) سورة غافر آية : ٧٨ .
(٣) سورة النساء آية ١٦٤ .

ولكن الذى ثبت تعيينه منهم خمسة وعشرون نبيا ورسولا ، ورد منهم ذكر ثمانية عشر فى آية من كتاب الله هى قوله تعالى :
" وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون كذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا كلا فضلنا على العالمين " (١)

وان فيجب الايمان بان الله بعث الى خلقه رسلا وانبياء كثيرين هداية لهم وارشادا فمن لم يثبت تعيينه منهم وجب الايمان به اجمالا ومن ثبت تعيينه منهم وجب الايمان به على التعيين ورد منهم ثمانية عشر فى الآيات السابقة .

اما السبعة الباقون فهم : ادريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وادم ومحمد خاتم النبيين والمرسلين وقد نظمهم بعض الشعراء فى قوله :ـ

---

(١) سورة الانعام آية ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

حتم على ذى التكليف معرفة * بأنبياء على التفصيل قد علموا

فى تلك حجتنا منهم ثمانية * من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

ادريس هود شعيب صالح كذا * ذو الكفر آدم وبالمختار قد ختموا

الرسل والأنبياء صفوة الله المختارة :-

الرسل اصطفاهم الله واختارهم قال تعالى :

" ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين "(١) .. ونزههم عن السيئات وعصمهم من المعاصى صغيرها وكبيرها . قال تعالى : " وما كان لنبى أن يغل " (٢)

وحلاهم بالأخلاق العظيمة والصفات الحميدة من الصدق والأمانة والفطانة ، والتفانى فى الحق . فمنهم الصديق . قال تعالى " واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا " (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٣ . (٢) سورة آل عمران آية ١٦١ .

(٣) سورة مريم آية ٤١ .

ومنهم من اصطنعه الله لنفسه . قال تعالى " وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى "(١) وقوله : " فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى "(٢)

ومنهم من هو بعين الله قال تعالى " واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا "(٣) .

وهكذا نجد النصوص الكثيرة الواردة فى القرآن الكريم بشأن الأنبياء والرسل تضفى عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة مايجعل منهم النموذج الحى والصورة المثلى للكمال الانسانى .

ومثل هؤلاء لا يمكن الا أن يكونوا معصومين من التورط فى الاثم ، ومنزهين عن الوقوع فى المعاصى ، فلا يتركون واجبا ، ولا يفعلون محرما ولا يتصفون الا بالأخلاق العظيمة التى تجعل منهم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى الذى

(١) سورة طه آية ٣١ . (٢) سورة طه آية ٤٠ ، ٤١ .
(٣) سورة الطور آية ٤٨ .

يتجه اليه الناس وهم يحاولون الوصول الى كمالهم المقدر لهم والله سبحانه هو الذى تولى تأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم حتى كانوا قمما شامخة وأهلا للاصطفاء والاجتباء. (١)

قال تعالى " أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ". (٢)

وقوله : " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ". (٣)

فهذه الآيات أدلة بينة على مدى الكمال الانسانى الذى أفاضه الله على أنبيائه ورسله ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم فى القلوب ولصغر شأنهم فى أعين الناس . وبذلك تضيع الثقة فيهم . فلا ينقاد لهم أحد . وتذهب الحكمة من ارسالهم ليكونوا قادة الخلق الى الحق . بل لو فعلوا شيئا مما يتنافى مع

---

(١) السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ١٨٢ .
(٢) سورة الأنعام : ٩٠ (٣) سورة الأنبياء : ٧٢ .

الكمال الانساني • بأن يتركوا واجبا أو يفعلوا محرما •
أو يرتبكوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوة سيئة
ولم يكونوا مثلا عليا ومنارات هدى • ان رسل الله يدركون بحسهم
مالم يستطع عليه غيرهم لأنهم تميزوا عن غيرهم • انهم دائما
في حضرة القدس • وأنهم يبصرون الله في كل شئ •
فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته
وآثار حكمته ورحمته • فتمتلئ قلوبهم اجلالا لله
ووقارا له • فلا يبقى فيها مكان لشيطان
ولا موضع لهو • ولا ارادة لشئ سوى ارادة
الحق والتفاني فيه والاستشهاد
من أجله •

تعريف الوحي :ـ

الوحي من اختصاص الرسل لأنهم هم الذين يحملونه من قبل الله ثم يقوموا بتبليغه الى الناس لهدايتهم . واذا أردنا أن نعرفه في اللغة يمكن القول : أنه الاعلام بالشيء في خفاء .

أما معناه في الشرع فهو اعلام في خفاء صادر من الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة .

وقد يطلق ويراد به الموحى به فيكون معناه : كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه . والفرق بين الوحي والالهام الذي هو لغير الأنبياء . أن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتساق الى مايطلب في داخلها من غير شعور بمصدره . وهو أشبه بوجدان الحزن والسرور والجوع والعطش .

أما أنواع الوحي فهي أربعة :ـ

الأول :ـ أن يكلم الله سبحانه نبيه بدون واسطة كما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج .

وكما حدث لموسى عليه السلام فى طور سيناء .

وقد اختلف فى السموع فى هاتين الحالتين بالنسبة الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وموسى عليه السلام . فقيل : " ان هذا الكلام هو الكلام النفسى القديم الذى ليس بحرف ولا صوت . "

ولا يستبعد أن يسمع النبى كلاما لا بحرف ولا صوت ، لأن النبى كما قلنا - بشر لا كالبشر ، أعنى أنه متميز بخصوصيات ليست لغيره من الناس لأن به صفاء نفس ونقاء فطرة يهما ، هيئ من قبل الله لتحمل أعباء النبوة والرسالة قديما هيأه الله سبحانه وتعالى بحواس وعقل مخالف لما ركب فى سائر البشر فان الله سبحانه وتعالى قدرته مطلقة لا محدودة وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهو أعلم حيث يكلم أحد أصفيائه ، والذى مكنه من أن يخترق الأستار والحجب قادر ولا شك أن يسمعه كلامه سماعا خاصا بلا حرف ولا صوت .

وقيل أيضا : ان مايسمعه الله النبى كلام لفظى يخلقه الله تعالى .(١)

النوع الثانى :- أن يكلم الله النبى بواسطة الملك ، وعلى هذه الصورة نزل القرآن الكريم ، والوحى بواسطة الملك يأتى على صورة متعددة منها :-

أولا : أن يرى النبى الملك فى صورته الأصلية ويتعلم منه مباشرة ماجاء به عن الله عز وجل ويمكن أن نسوق مثلا يؤيد ذلك . هو ماحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول مرة يوحى اليه "باقرأ" فقد أخذته الرهبة الشديدة من هذه الصورة ، حتى قال لخديجة - رضى الله عنها - لقد خشيت على نفسى فقال والله لا يخزيك الله أبدا .

ثانيا : أن يراه فى صورة بشر كما كان يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى وكما كان يراه صلى الله عليه

---

(١) راجع د / محمود بركات : قضايا النبوات ص ٣٢ .

وسلم في الحديث الذي رواه عمر رضي الله عنـــه :
"بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليـــه
وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثيـــاب
شديد سواد الشعر ... الخ . فقد رآه الرسول
ورآه الصحابة على صورة البشر .

ثالثا : لا يرى الملك عند الوحي لا في صورته الأصليـــة
ولا في صورة شخصية بالبشر، وانما يسمــــع
عند قدومه صوتا خفيفـا أو شديدا فيتعلـــم
منه وهو موقن أن ما ألقى اليه من عند اللـه .

النوع الثالث :ـ وهو الالهام ، وهو أن يلقى فـي
روع النبي وقلبه ما اراده الله من المعارف مع يقين النبي بأن
هـذا من قبل الله تعالى كما قال عليه الصلاة والسلام " ان
روح القدس نفث في روعي : أحبب من أحببت فانــــك
مفارق وعش ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزي به "(١)

---

(١) ذكره الشيرازي في الألقاب والطبراني في الأوسط.

النوع الرابع من الوحي : الرؤيا في النوم :ـ

فان رؤيا الأنبياء حق وصدق لأنها من قبل الله ويعملون بمقتضاها ، وقد حصل ذلك لسيدنا ابراهيم عليه السلام حينما رأى ذلك في النوم فقص على ابنه اسماعيل مارأى " يابني انى أرى في النوم أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ " فرد عليه اسماعيل في الحال " بقوله " ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين " .

من هنا نفهم أن هذا الرد من اسماعيل عليه السلام على أبيه ليس عشوائيا ولكنه أمر الهي واجب التنفيذ .

وبالتالي : يعتبر أن مارآه سيدنا ابراهيم في منامه انما هو وحي من قبل الله ولا دخل فيه للشيطان مطلقا ، لأنه لا سلطان للشيطان على رؤيا الأنبياء ولا أدل على ذلك من انهزام الشيطان وضعفه أمام وسوسته لكل من سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل وأمه هاجر ولكنه قوبل بالزجر " اغرب ياعدو الله " ..

امكان الوحي ودليل ذلك :-

الوحي ممكن عقلا باتفاق العقلاء ولا استحالة في ذلك ،
لأن العقول السليمة والفطر النقية لا تجد مانعا من
أن يصطفي الله من البشر أفرادا يطهر نفوسهم
ويزكي أرواحهم ويعدهم اعدادا فطريا لتلقي وحيه
تعالى ثم يوحي اليهم .

هذا الأعداد وذاك الصفاء هو الركن الهام
في امكان الوحي . أما الركن الثاني فهو وجود الملائكة وظهورهم
لمن اختصه الله تعالى بالرسالة وهذا أمر ممكن وليس
مستحيلا .

أما بالنسبة لغير معاصري النبوة ، فدليلهم
على ذلك يكون محصورا في ثلاث :-

الأول : المعجزة التي ظهرت على نبي .

الثاني : الخبر المتواتر .

الثالث : خبر الصادق في تحقق وقوعه .

أما دلالة المعجزة على وقوع الوحي فهي دليل بالنسبة لمن حضر زمن النبي وشاهد المعجزة التي ظهرت على يديه وشهودها يفيد من شاهدها اليقين بصدق من ظهرت على يديه في دعواه الرسالة وأن الله أوحى اليه •

وأما الخبر المتواتر بوقوع الوحي ، فهو دليل بالنسبة لمن لم يحضر زمن النبي ولم يشاهد ما ظهر على يديه من المعجزات •

والتواتر هو نقل أخبار الوحي بطريق الجمع الكثير •

وأما الطريق الثالث من طريق الاستدلال فهو خبر الصادق المعصوم بذلك الوقوع ، وهو دليل أيضا بالنسبة لمن لم يحضر زمن النبي المخبر بوقوع الوحي له • وهو يفيد من سمعه اليقين بالمخبر به كسابقه ، وذلك مثل اخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله بعث رسلا كثيرين وأنبياء وأنه أوحى اليهم وأيدهم بمعجزاته فهذا يفيدنا اليقين بوقوع الوحي لهؤلاء الأنبياء •

المعجـــــزة :ـ

لابد للرسول من أن يقدم بين يدى دعواه الى من يدعوهم شاهد على مايدعيه من أحقية ماجاء به من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وتصديق من أرسله الى الناس كي يدعوهم الى دينه ، وهو الله سبحانه وتعالى وهى تأتى تصديقا للنبى على وجه التفضل من الله عز وجل دون وجوب عليه تعالى ، لأنه لا يسأل عما يفعل .

يقول البغدادى " لابد للنبى من معجزة تدل على صدقه فاذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته ". (١)

ومن هنا نستخلص أن المعجزة تؤيد صدق النبى وتتضح بصورة أقوى اذا حصل العجز لكل معارض من هنا لزمتهم الحجة فى التصديق يقول القاضى عبد الجبار

---

(١) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ١٠٧ .

في كتابه شرح الأصول الخمسة " ان الله تعالى اذا بعث الينا رسولا ليعرفنا المصالح فلابد من أن يدعي النبوة ويظهر عليه العلم والمعجز الدال على صدقه عقيب دعواه النبوة . " (١)

وقد عرفوا المعجزة لغة : بأنها مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة ، أو من الاعجاز ، لأنها تظهر عجز الغير عن الاتيان بمثلها .

أما في الاصطلاح : فقد عرفها بعض العلماء من الكلاميين بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة - أي الاتيان بمثله . (٢)

ومنهم من قال بأنها فعل يدل على صدق مدعي النبوة ، وهذا التعريف يعد قاصرا لأن المعجزة تكون فعلا وغير فعل .

---

(١) شرح الأصول الخمسة : عبد الجبار ص ٥٨٦ .
(٢) السابق نفس الصفحة .

والأمر يتناول الفعل كانفجار الماء من بين الأصابع، ويتناول أيضا عدم الفعل كعدم احراق النار .

أما من اقتصر على الفعل في تعريف المعجزة ، فقد جعل المعجزة هنا في عدم الفعل هي كون النار بردا وسلاما على ابراهيم - أو بقاء الجسم على ماكان عليه من غير احتراق .

وقيد المقارنة للتحدى يخرج كرامات الأولياء فانها غير مقرونة بالتحدى ، وكذلك فان اقتران الأمر الخارق بالتحدى يخرج العلامات الارهاصية التي تسبق البعثة النبوية .

أما قيد مع عدم المعارضة فهو يخرج السحر والشعوذة لأنها يمكن معارضتها بالتعلم .

شروط المعجزة :-

للمعجزة شروط يمكن أن يؤخذ بعضها من هذه التعاريف على هذا الوجه :

١ - أن تكون المعجزة فعلا لله يظهره أمام المتحدين تصديقا لدعوى رسوله .(١)

يعني : أن المعجزة لا تكون من صنع أو كسب مدعي النبوة ولكنها من فعل الله وقد قال بعض المشككين في أمر المعجزات : ان ذلك الأمر الذي نعتبره معجزة، ليس فعلا لله ، بل يستند الى المدعي لخاصية في نفسه ، أو مزاج في بدنه أو الاطلاع على الخواص في بعض الأجسام يتخذها ذريعة للتصديق أو يستند الى الملائكة أو الجن ، الى غير ذلك من أمور لا يطلع عليها غيره ، وقد رد على هذه الشبهة الواردة على هذه الصفة للمعجزة . بأنه لا مؤثر في الوجود الا الله

---

(١) راجع شرح المواقف ج ٨ ص ٢٢٧ .

وخاصة فى هذه الأمور الخارقة مثل : احياء الموتى وانقلاب العصا حية وجعل النار بردا وسلاما .

ومن ناحية أخرى ، فان مجرد التمكين وترك الدفع من قبل الله كان فى افادة المعجز المطلوب ، ومن أجل هذا قالت المعتزلة : ان المعجزة تكون فعلا لله أو واقعا بأمره أو بتمكينه .(١)

والمعجزة قد تكون فعلا ، أو قولا ، أو تركا .

فالفعل كنبع الماء ، والقول كالقرآن ، والترك كعدم الاحراق بالنار بالنسبة لابراهيم عليه السلام .

٢ - أن تكون خارقة للعادة ، فليس معجزة اذا قال الرسول معجزتى أن تطلع الشمس فى النهار أو أن القمر يضئ فى الليل ، لأن مثل ذلك معتاد وليس خارقا للعادة .

وذلك لأنها " لو كانت عادة معتادة يستوى فيها البار والفاجر والصالح والطالح ومدعى النبوة المحق لها ،

---

(١) د / محمود بركات : قضايا النبوات ص ٤٦ .

والمخشرى بدعواه لما أفاد مايقدر معجزة تمييزا وتنصيصا على الصادق ولا خفاء في ذلك قاله امام الحرمين . (١)

وقد قامت في وجه هذه الخاصية للمعجزة شبهات ، فقيل : ان هذا الأمر يحتمل أنه ليس خارقا للعادة حقيقة ، بأن يكون ابتداء عادة أراد الله اجراءها - مثلا - أو يكون تكرير العادة لا تكون الا في أزمان موغلة في القدم جدا .

وقد رد علماء الكلام على هذه الشبهة بأن المعجزة هي ماجزم فيها بخرق العادة وأن المتحدين بها عجزوا عن المعارضة مع كونهم أحق بها ان أمكنت ، وذلك لكثرة شغلهم بما هو من بابها وان كان ليس من نوعها وتوفر دواعي المعارضة .

ولهذا قيل : ان معجزة كل نبي تكون من جنس مايشتهر به القوم كالفصاحة ولهذا قيل : ان معجزة كل نبي تكون من جنس مايشتهر به القوم كالفصاحة حتى زمن سيدنا رسول

(١) الامام الجويني : الارشاد ص ٣٠٢ .

الله صلى الله عليه وسلم حيث كان قومه مشهورين بالفصاحة في عهده فجاء القرآن بأسلوب أعجز ، والطب في زمن عيسى عليه السلام والسحر في زمن موسى عليه السلام [١]، ومن هنا يعظم ويكبر التحدى ومما يؤيد ذلك قول الامام الجويني ومنه أيضا ردا على الايراد السابق .

" انا باضطرار نعلم أنه ليس في القوة البشرية والفكر والحكمة احياء العظام بعد ما رمت وابراء الأكمه والأبرص وقلب العصا حية تلقف ما يأفك السحر ومن جوز التوصل الى مثل ذلك بالحكم ودرك الخواص فقد خرج عن حيز العقلاء " ويقول أيضا " ثم اذا تحدى النبي بشيء قدرناه خارقا فلو لم يكن خارقا لا شرأبت النفوس لمعارضته وانصرفت الدعاوى الى فضحه وحطه عن دعواه ، فاذا ذاعت الدعوى وشاعت والتحدى بها وتعجيز الخلائق عن الاتيان بمثلها ، استبان بذلك أنه من الخوارق وهذا القدر كاف في غرضنا " (٢)

---

(١) قضايا النبوات ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٢) الارشاد للجويني ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

٣ — أن يكون ظهورها على يد مدعي النبــوة .

فإن ظهر الأمر الخارق علــى يــد غير مدعي النبوة فإنه يكون من الحالات الخارجة بمحترز قولهم (مقرون بالتحدي الوارد في التعريف) .

وذلك بمعنى اذا كان الأمر الخارق على يــد غير مدعي النبوة فإنه لا يسمــى حينئذ معجزة وإنما تختلف أحواله بحسب أحوال من يظهر على يديه .

فإذا ظهر الخارق على يــد عبــد ظاهر الصــلاح فيكون كرامــة ويسمى " وليا " . وقد يكون معونة اذا ظهــر على يــد عبــد من عبــاد الله من العوام تخليصا لهم مــن محنــة أو شــدة .

وقــد يكون استدراجا اذا ظهــر على يــد عبــد فاسق خديعــة ومكــرا ويقصــد به استنزالــه اليــه درجة حتى يورطــه فيــه . (١)

---

(١) راجع قضايا النبوات للدكتور / محمود عبد المعطي بركات ص ٥٠ . وانظر المواقف في علم الكلام ص ٣٣٩ .

ويسوق لنا الدكتور / محمود عبد المعطي بركات خوارق للعادات قد تشترك مع المعجزة مشاركة ظاهرية ونستطيع حصرها في ست هي على النحو الآتي :ـ

أ ـ المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة .

وأردت ذكر المعجزة هنا مع الخوارق حتى يتمكن القارئ من الموازنة السريعة التي قد تتم في الذهن ، حتى يستطيع بسهولة واضحة وضع معالم فاصلة بين كل تعريف من هذه الخوارق .

ب ـ الكرامة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح غير مدعي النبوة . ومنها الاستقامة والتوفيق الى طاعة الله " كلما دخل عليها زكريا " الاية .

جـ ـ المعونة وهي : الأمر الخارق للعادة يظهره الله على يد عبد من عباده العوام اخراجا له من شدة أو تخليصا له من ورطة .

د - الإهانة : وهي خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدعي النبوة كما تم عند مسيلمة الكذاب على خلاف زعمه تكذيبا له في دعواه .

هـ - الاستدراج وهو الأمر الخارج يظهر الله على يد فاسق يدعي الألوهية خديعة ومكرا ، وتقوم الأدلة القطعية بتكذيبه لأنها قامت على وحدانية الله .

و - الإرهاص : وهو الأمر الخارق للعادة يظهر على يد النبي قبل البعثة تمهيدا وتأسيسا (١) .
مثل اظلال الغمام للرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .

٤ - أن تكون مقارنة لدعوى النبوة ، فلا يصح أن يتقدم عنها ، لأنها شهادة تصدق المدعي والشهادة لا تتقدم على الدعوى ، لكنه يغتفر التأخير اليسير

---

(١) راجع قضايا النبوات للدكتور / محمد عبد المعطي بركات ص ٥٠ وانظر المواقف و علم الكلام ص ٣٣٩ .

بحيث يعد مثله في العرف مقارنا .

٥ - أن تكون موافقة للدعوى ، فلو قال المدعي آية صدقي انقلاب البحر فانفلق الجبل لا يكون صادقا ، لأن حصول غير المطلوب لا يدل على الصدق .

٦ - ألا تكون مكذبة له ، فان قال معجزتي نطق هذا الجماد فنطق هذا الجماد بأنه كذاب فليس معجزة .

٧ - أن يتعذر معارضتها ، فان عورضت لم تكن من آثار قدرة الله تعالى الخاصة بالمعجزات ، بل تكون من مخترعات البشر .

امكـــان المعجـزة :-

المعجـزة مـــن المكنـات عقـلا بدليل وقوعهـــــا بالفعـل ، وثبتت معجـزة القرآن بالتواتر وقص علينا كثيرا مـــن معجزات الأنبيـاء ، ولو لم تكن ممكنـة لما تعلقت بها قـــدرة الله ، لأن الله الـذى خلـق الكون ورتب الناموس فهـــو الـذى يخلـق الخوارق من غيـر أسباب أو قوانين ، وليس فـى هذا مايحيلـه العقـل أو يمنعـه ، مع مراعاة أن مخالفـــة المعجـزة للسيـر الطبيعـى فى ايجاد الممكنات لا يخرجهـــا من الامكـان الى الاستحالـة ، لأنا نـرى المريض يمتنع عـــن الأكـل والشـرب مـدة لو امتنعهـا وهو سليـم لمات مـــع وجود العلـة التى تساعـد الجوع على اتلاف النفس ، وليـــس يمتنـع على الله ايجاد الخارق للعادة ، لأنه قادر مختار وقـــد يكون للخوارق عنـده نواميس خاصـة ، ونحن لا نعـرفهـــا ولكـن يظهـر أثرهـا على يـد مدعى النبوة . (١)

---

(١) راجع شـرح المقاصـد ص ١٤ ، ورسالـة التوحيـــد لمحمـد عـبـده ص ٧٠

وخلاصة القول : أن المعجزة باعتبارها أثر من قدرة الله تعالى المسوق دلالة على صدق النبي في نبوته لا يشترط فيها أن تكون مرتبطة بأسباب أو قوانين ومن هنا فان خوارق العادات أمور ممكنة في ذاتها ، ممتنعة بحسب العادة ، أي لم تجر العادة بوقوعها وعدم تكرار وقوعها لا ينافي امكانها الذاتي . وأما أن المعجزة وقعت فعلا : فلأنه قد نقل الينا بالتواتر أن الله أيد رسله بالمعجزات وأن القرآن الكريم هو معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الخالدة .

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول :-

جمهور العلماء ولا سيما علماء الكلام يتفق على أن دلالة المعجزة على صدق الرسول في دعواه دلالة يقينية لا فرق في ذلك بين الموجود في عصر الرسول والغائب عنه لأن المشاهدة كافية في اليقين للموجود مع الرسول والتواتر لغيره كاف في الأخبار . وهو يفيد اليقين بالنسبة للغائب عن عصر الرسول . (١)

وبعد اتفاق العلماء على دلالة المعجزة ، اختلفوا في وجه الدلالة فقيل :- " انها عقلية ، لأن خلق الله للامر الخارق للعادة مقارنا لدعوى الرسالة ، وتحدى الرسل لقومهم مع العجز عن معارضته ، وتخصيص الله الرسل بذلك يدل عقلا على أن الله أراد تصديقه ، وعلى هذا يستحيل عقلا صدور المعجزة على يد كاذب . وقيل انها وضعية ، وبيان ذلك أن دلالة المعجزة على صدق الرسول كدلالة الألفاظ على معانيها ، لأنها بمنزلة قوله " صدق

---
(١) شرح المقاصد ص ١٥ ، السمعيات

عبدى فى كل مايبلغ عنى " وعلى هذا يستحيل صدور المعجزة على يد كاذب ، لما يلزم عليه من كذب الاله وهو محال .

وقيل دلالتها عادية وبيانه أنه قد جرت عادة الله بخلق العلم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة ، ولم تجر عادته بخلق المعجزة على يد غير الرسول بل جرت بافتضاح أمر الكذابين كما حصل لمسيلمة وأشباهه ولهذا صح أن تكون العادة التى لم تختلف من مبدأ الارسال الى نهايته دالة على الصدق قطعا . (١)

ورغم هذه الآيات والأدلة القوية التى سبقت فى هذه المجال الا أن كثيرا من المعارضين لم يستجيبوا للحق ولم يسلموا بدعوى الرسول لا عن قصور فى الأدلة ولكن عن عناد وتبجح كما فى قوله تعالى " الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل

---

(١) السابق ص ٩٠ ، وشرح العقائد النسفية ص ٢٠٣ .

قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم . فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين"(١) وقد أقسم المشركون أكثر من مرة أنهم يؤمنون شرطة أن يكون هناك آية أو معجزة مادية تقع والله يعلم انهم لكاذبون قال تعالى " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لأن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون"(٢)

محمد رسول الله وخاتم النبيين :—

ان الحديث عن النبوات يستلزم الحديث عن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمومها لجميع الانس والجن على طول الزمان وامتداد المكان الى يوم الدين . وذلك لأننا استقينا المعرفة والعلم بتفاصيل النبوات السابقة من فيض شريعته ومنهاج رسالته التى حفظها الله سبحانه من التغيير والتبديل كما حصل فى الأديان السابقة .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٣ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٩ .

واذا أردنا أن نفصل القول فى دليل رسالته ودعواه للرسالة واظهار المعجزة التى تؤيد دعواه فيمكن القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وأيده الله سبحانه بالمعجزات التى أعظمها وأكبرها " القرآن الكريم " تصديقا لدعواه ، وكل من كان كذلك فهو رسول حقا - فمحمد رسول الله حقا - . أما دعواه الرسالة فبالتواتر الذى وصل الى حد الوضوح حتى لحق بالعيان والمشاهدة .

وأما اظهار المعجزة على يديه ، فلأنه أتى بأمور خارقة للعادة مقرونة بدعوى الرسالة تصديقا من الله له فيما يدعيه ، واظهار هذه المعجزات على يديه بلغ حد التواتر ، فقد أظهر الله على يديه معجزات كثيرة أعظمها القرآن الكريم وسوف نبين بعض هذه المعجزات ان شاء الله فى الفقرات الاتية .

كما أنه يمكن الاستدلال على رسالته صلى الله عليه وسلم من أحواله التى كان عليها قبل البعثة وبعدها ، وما كانت تحتويه نفسه من عظيم الخصال وكريم الفعال وعظيم

الأخلاق ، وما تحلى به من الكمالات العلمية والمعارف الهادية الى صلاح حال النوع الانساني على الأطلاق ، وكل هذه الكمالات لم يكسبها بماله لأنه نشأ فقيرا ، ولم يتعلمها من أبويه لأنه نشأ يتيما ، ولم يتلقنها من معلم لأنه عاش أميا ولم تمنحها له بيئته لأن بيئته كانت في ضلال وفساد ، كل عشرائه أهل وثنية وكل خلطائه أولياء أصنام ، فعظمة النبي صلى الله عليه وسلم مستمدة من صميم فؤاده ومشتقة من طبيعة نفسه التي صاغها الله بيديه واصطفاها لنفسه وصنعها على عينه .

وبالجملة فقد بلغ في كرم النفس وسمو الأخلاق الذروة العليا ، فأيقنت العقول بسموها وأمنت الشرائع بوجودها فأصبحت حياة للأمم ومنارا للخلق وقبلة تتجه اليها الأنظار من كل صوب ، كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء .

فهذه الهمم العالية التي كان عليها صلى الله عليه وسلم مع وجود مايصوفها في البيئة والنشأة ولم تعوق دليل صدق على أن صاحبها ليس كسائر للبشر ، وانما هو مختار ومصطفى من جهة العناية الالهية التي تكفلته بالحفظ والرعاية والتدرج به من كمال الى كمال ، وكل هذه من سمات الرسالة المحمدية وبعض دلائلها .

هذا ومما يستدل به على رسالته من القرآن الكريم قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل " ومن السنة المطهرة قوله عليه الصلاة والسلام " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

فان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي الخاتمة وهي الصورة التامة للنعمة الكاملة والرحمة الشاملة المناسبة للأنسان ، بما هو انسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي المتممة للدين فلا يزاد عليه والمكملة له فلا ينقص منه قال تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

ورضيت لكم الاسلام دينا "

معجزات النبى صلى الله عليه وسلم :-

لقد شاءت ارادة الله - تعالى - أن جعل الرسالة المحمدية فى الجزيرة العربية ، فقبل ظهور الرسالة هيأ المولى - عز وجل - لهذه البيئة أن تزدهر بالبلاغة والفصاحة حتى بلغ العرب فى هذا المضمار شأوا بعيدا فكان منهم أرباب البلاغة وأهل الفصاحة ، وكانوا يعقدون الندوات ويتبارون فى الخطابة والشعر والنثر وكانت أسواق عكاظ أكبر شاهد على ما وصلوا اليه من درجة عالية من فصاحة القول وبلاغة الكلمة .

فقد أرسل الله تعالى فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، حتى لا ينفرون منه وينبذون دعوته وصدق الله حيث قال فى كتابه الكريم " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " (١)

---

(١) آخر سورة التوبة .

وكانت رسالته من جنس ماكان في البيئة العربية من البلاغة والفصاحة ولذلك تحداهم من جنس ماهم به موءمنون ومن منهلــه يرتشفــون .

يقول الشيخ محمد عبده : " نزل القرآن الكريم في عصر اتفق فيه الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الاعصار عند العرب وأغزرها مادة في الفصاحة والبلاغة ،وتحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو بسورة مثله وأنه مع طول زمن التحدى ، ولجاج القوم في التحدى أصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا عن كل كلام وقضى حكمه العلى على جميع الأحكام ،وتحداهم وعجزوا ، وأثبت عجزهم ." (١)

اقرأ ان شئت قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ في هذا الشأن " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار

---

(١) رسالة التوحيد : الشيخ محمد عبده ص ١٢٩ : ١٣١/ ١٩٦٩م

التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " (١)

فان التعبير القرآنى بقوله " ولن تفعلوا كلام صريح فى اثبات عجز الناس عن محاكاتهم للمعجزة الكبرى ، الخالدة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهى القرآن الكريم .

هذا ومعجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جمعت بين ما هو حسى وما هو معنوى لدينا . دلالة واضحة على أن هذا الرسول جاء برسالة كاملة فلا يزاد عليها وتامة فلا ينقص منها وفيها سعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣ ، ٢٤ .

المعجزة الكبرى " القرآن الكريم " :-

القرآن هو اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول الينا تواتره ، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه وكان أعظم المعجزات ، لأنه المعجزة الباقية الخالدة ، الدائم التحدى بها الى يوم القيامة وهو الكتاب الذى استنبطت منه الأحكام الشرعية والعلوم العقلية .. والذى حفظه الله التغيير والتبديل . (١)

قال تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٢)

انه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ماالهذا القرآن ، من سمو الموضوع ، وسحر البيان ، وقوة التأثير ما وجه عناية العلماء الى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه ، ومعانيه وعقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، وتشريعاته ، فخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والآداب ، لا تزال ولن تزال

---

(١) راجع شرح المقاصد : مبحث السمعيات ص ٢٦ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩ .

المادة الصالحة لقيام حضارة انسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد .

قال تعالى " وكذلك أوحينا اليك من روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا " (١)

هذه هى المعجزة التى أيد الله بها نبيه الأمى والتى غير بها نفوسا ، وأحيا قلوبا ، وأنار بصائر ، وربى أمة ، وكون دولة فى سنين تعد على الأصبع .

اذا كان قلب العصا حية معجزة فان تغير العقول والقلوب أبلغ فى الاعجاز .

واذا كان احياء الميت من الخوارق التى أيد الله بها بعض أنبيائه فان احياء أمة أمية من الجهل والرزيلة وجعلها مصدر اشعاع وهداية وهو الخارق الذى تتضاءل فى جوانبه جميع المعجزات .

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢

وما أحلى قول الشاعر فى ذلك :ـ

الله أكبر ان دين محمد * وكتابه أقوى وأقوم قيلا .

لا تذكر الكتب السوالف عنده * طلع الصباح فأطفأ القنديلا ! (١)

ودليل كون القرآن من عند الله : أن أشراف العرب من كمال حذاقتهم فى أسرار الكلام وفرط عداوتهم للاسلام ، لم يجدوا فيه للطعن مجالا ولم يوردوا فى القدح مقالا ، ونسبوه الى السحر تعجبا من فصاحته ، وحسن نظمه وبلاغته ، واعترفوا بأنه ليس من جنس خطب الخطباء أو شعر الشعراء .

وهذا أحد زعماء قريش ، سادات العرب فى الفصاحة ، وهو الوليد بن المغيرة يسمع القرآن من رسول الله ، فيقرر وهو من ألد أعداء الاسلام " ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر" والفضل ما شهدت به الأعداء ، ومع ذلك آثروا المقارعة بالسنان على المعارضة باللسان والمقاتلة على المقاولة ،

---

(٢) انظر السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ٢٢٠ .

وأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره المشركون ، ولو أبى المعاندون .(١)

الدليل على أن القرآن معجزة :ـ

ان القرآن الكريم تحدى به النبى صلى الله عليه وسلم أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن معارضته ، وكل ما كان كذلك فهو معجزة ، فالقرآن معجزة ، أما دليل ذلك من القرآن الكريم نفسه . فالآيات التى بينت أن النبى سلك معهم (أى معارضة) طرق التدلى ، كثيرة ، نراه طلب منهم الاتيان بمثل هذا القرآن " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ".(٢) ثم أمهلهم مرة وطالبهم بأن يأتوا بعشر سور مثله . قال تعالى " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات . "(٣) فعجزوا أيضا عن ذلك ثم طالبهم بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله قال تعالى " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

---

(١) غاية المرام : للآمدى ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) سورة الطور آية ٣٤ . (٣) سورة هود آية ١٣ .

من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين" (١) فعجزوا . والعجز عن المعارضة هو عدم التمكن من الاتيان به مع وجود الداعي وتوفر الآلات . وكان الداعي الى المعارضة قائما عند العرب لأن النبي طلب منهم ترك دينهم . وقد كانوا في هذا الوقت متصفين بالشجاعة وأهل فصاحة وبيان ، في عصر كان أزهى عصور البلاغة . (٢)

ولقد أخبر منزل القرآن باستحالة الاتيان بمثله من الانس والجن أجمعين . قال تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . (٣)

والامام الرازى الزام ممتاز بالاعجاز القرآني حتى ولو لم يكن بالغا الحد الأعلى في الفصاحة والبلاغة بناء على

(١) سورة البقرة آية ٢٣ .
(٢) الامام محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١١٨ .
(٣) سورة الاسراء آية ٨٨ .

عدم تمكن الخصوم من معارضته والعجز عن المعارضة ثابت بما لا يدع مجالا لريب مستريب بقول الامام في ذلك :-

" والقرآن لا يخلو اما أن يقال : انه كان بالغا في الفصاحة الى حد الاعجاز أو لم يكن كذلك ، فان كان الأول : ثبت أنه معجز ، وان كان الثاني كانت المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها أمر خارق للعادة ، فكان ذلك معجزا . فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه وهذا الطريق عندنا أقرب الى الصواب" (١)

وهذا الوجه من الاعجاز في البلاغة والفصاحة يراه الرازى أقرب الى الصواب ويراه أدق الأوجه في بلاغة القرآن والزام المنكرين لاعجازه على فرض نقصانها .

(١) الرازى : مفاتيح الغيب جـ ٢ ص ١٢٧ .

معجزات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم :-

من هذه المعجزات تسبيح الحصى فى كف النبى صلى الله عليه وسلم . ومنها اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بنبأ مقتل عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية ، حيث قال النبى لعمار " تقتلك الفئة الباغية " وقد قتل فعلا يوم صفين .

ومنها أيضا حنين الجذع الذى كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم قبل اتخاذ المنبر ، ومن معجزاته شهادة الضب بنبوته . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى وقد صاد ضبا فقال الأعرابى من هذا ؟ قالوا " نبى الله " فقال واللات والعزى لا آمنت به الا أن يؤمن هذا الضب . وطرحه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ياضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة . قال من تعبد ؟ قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله ،

وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه ... قال له الرسول : من أنا ؟ قال الضب : رسول رب العالمين وخاتم النبيين .. فأسلم الأعرابي . (١)

ومنها استنزال المطر . فقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوا الله لينزل المطر فينزل بأمر الله . ورد ذلك في الصحيح .

روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينما الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ جاء رجل فقال يارسول الله : قحط المطر فادع الله أن يسقينا فدعا فمطرنا . فما كدنا أن نصل الى منازلنا فما زلنا نمطر الى يوم الجمعة المقبلة قال . فقام ذلك الرجل فقال يارسول الله : ادع لنا الله أن يصرفه عنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوالينا ولا علينا . قال فلقد رأيت السحاب تقطع يمينا وشمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة" (٢)... الخ . هذه المعجزات

---

(١) شرح أم البراهين الكبرى ص ٤٣٦ : ٤٣٧ .
(٢) فتح الباري : باب الاستسقاء على المنبر ج٥ ص١٩٦ .

الحسية ، وهناك معجزات حسية كثيرة منها اظلال الغمام ، وانشقاق القمر له ، وشهادة الشاه يوم خيبر ، بأنها مسمومة ... الخ هذه المعجزات الحسية .

وليست المعجزات وحدها هي التي تدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هناك صفات حميدة وكمالات علمية لا تتحقق في نظر العقل الا لنبي ، وأيضا واشتملت عليه شريعته من دقائق الحكمة في الاعتقادات ، والمعاملات والسياسات مايقطع معه العقل بأن واضعها ليس الا الها خالقا والمبعوث بها ليس الا نبيا .

عصمة الأنبياء :-

اذا كانت بعثة الأنبياء ضرورة دينية واجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها مهما أوتى العقل من رجاحة وقوة التفكير لأنه محدود ويقف مكتوفي الأيد في الغيبيات بل بعض أمور الدنيا ومن هنا كانت أهمية الأنبياء لأنهم هم الذين يخطون للناس طريق الفلاح والسعادة في المعاش والمآل فان أنبياء الله هم حملة الرسالة في جانبها العقدى ، وفي منهجها التشريعي والاجتماعي انه فهم القدوة يقول تعالى (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) ويقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ويقول (وما كان لنبي أن يغل) .. الخ هذه الآيات الواردة في ذلك .

واذا ما حصل اخلال بالمنهج العقدى والشرعي لديهم لم تتحقق اذا القدوة ، ويجب أن ينزه حامل النبوة والرسالة عن كل ما لا ينسجم مع مقتضيات هذه النبوة أوتلك الرسالة . (١)

---

(١) د / محمود بركات : قضايا النبوات ص ١٦٥ .

مما ينفر عن القبول منه أو الأخذ عنه أو الاقتداء
به • بل ويجب أن تتحقق من خلاله القدوة
والأسوة الحسنة • ومن ثم كانت ضرورة العصمة بمثابة
ضرورة النبوة لأنهما مقترنتان لا تنفك العصمة عن النبوة •
فما هي اذن العصمة ؟ •

العصمة في اللغة :ـ مطلق الحفظ أو المنع
يقال : عصمه اذا منعه ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن
ابن نوح عليه " قال سآوى الى جبل يعصمني
من الماء • قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم "
أي يمنعني من الغرق في الماء •

وقال القرطبي في تفسيره وسميت عصمة لأنها تمنع
من ارتكاب المعصية •

والعصمة : تعني حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع
في الذنوب والمعاصي والمنكرات والمحرمات •

وشرعا : المراد بها حفظ ظواهر الرسل والأنبياء
وبواطنهم من المعاصي والذنوب كبائرها وصغائرها

وقيل : انها ملكة نفسانية تمنع عن الفجور وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات .

ويمكننا أن نحصر العصمة بالنسبة للانبياء والرسل في أربعة مواضع :ــ

١ ــ فيما يتعلق بالأمور الاعتقادية فقد أجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة فيما عدا طائفة من الخوارج فقد جوزوا صدور الذنوب عن الأنبياء .

٢ ــ فيما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام الصادرة من الله تعالى . فقد أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة لا عمداً ولا سهواً .

٣ ــ فيما يتعلق بالفتوى . فقد أجمعوا على أنه لا يجوز تعمد الخطأ عليهم وأما على سبيل السهو فالأكثرون على صدور الخطأ منهم على سبيل السهو .

٤ ــ فيما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم ففيه خلاف والغالب أنهم لا يرتكبون كبيرها وصغيرها عمدا ولا نسيانا ،

وهذا مذهب الشيعة . (١)

في وجوب العصمة والأدلة عليها :-

الأكثرية من العلماء يجمعون على أن العصمة واجب على الأنبياء في زمان النبوة فقط وليست واجبة عليهم من أول العمر الى نهايته .

ولأهل السنة أدلة على وجوب العصمة للانبياء منها :

١ - أنه لو صدر الذنب عنهم لما أمرنا الله باتباعهم . قال تعالى " واتبعوه لعلكم تهتدون " .

٢ - أنه لو صدر عنهم الذنب لكانوا معذبين بأشد العذاب . وبيان ذلك أن درجات الأنبياء عليهم السلام في غاية الشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش فكان عذابه أشد . (٢)

٣ - أنه لو صدر الذنب عنهم لكانوا من حزب الشيطان فهو خاسر . صداقا لقول الله تعالى " ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون . "

---

(١) انظر عصمة الأنبياء للرازي ص٢ ٣٥ .
(٢) المصدر السابق ص٤ ٥ ٥ .

٤ ـ أنه لو صدر عنهم الذنب لم تقبل شهاداتهم وأصبحوا في زمرة الفاسقين مصداقا لقوله تعالى " ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " .

٥ ـ أنه لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم لأن الله أمر بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكن زجر الأنبياء غير جائز لقوله تعالى " ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة " لهذا كان صدور الذنب عنهم ممتنع .

٦ ـ أنه لو صدر الذنب عنهم لانعزلوا عن النبوة ،لأن المذنب ظالم والظالم لا ينال عهد النبوة لقوله تعالى " لاينال عهدي الظالمين .

ومن أراد الاستزادة من هذه الادلة فليرجع الى عصمة الأنبياء للرازي حيث يه أكثر من خمسة عشر دليلا قويا في عصمة الأنبياء .

وبعد أن بينا أدلة أهل السنة على وجوب العصمة للانبياء فقد نورد الشبه التي أثارها المعارضون على

عصمة الأنبياء ونفندها ونرد عليها بما يبطلها .

نراهم عارضوا الدلائل الدالة على عدم صدور الذنب عن الأنبياء بوجوه منها :ـ

الشبهة الأولى :ـ واقعة آدم في قوله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى " فانه يدل صراحة على أنه صدر منه المعصية وآدم بنبي باتفاق

الجواب :ـ بأن واقعة آدم هذه صدرت منه قبل النبوة ، اذ لم يكن لآدم حينئذ أمة ، ومن المعروف أنه لا يوجد نبي الا اذا كان له أمة .

وقيل أيضا أن قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى " أي أراد به أولاد آدم فيكون العصيان واقعا من أولاد آدم وليس من آدم نفسه بدليل قوله تعالى في قصة آدم وحواء " فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما " وبالاتفاق لم يشرك آدم ولا حواء وانما أشرك أولادهما من بعدهما . (١)

---

(١) راجع عصمة الأنبياء للرازي ص ١١ ، ١٢ .

ولئن سلم بأن ماحصل من آدم كان بعد النبوة فانه يحمل منه على أنه وقع على سبيل النسيان لقوله تعالى : " ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما " هذا بالاضافة الى أن الله أراد أن يأكل آدم من الشجرة حتى تتحقق ارادة الله في خلقه . فيستخلفهم في أرضه فقدم له النصح لكنه يعلم أنه سيأكل ولا يستطيع الامتناع عن الأكل سواء عن طريق النسيان أو تغرير الشيطان اياه فهذا ارادة الله والا لما كان هناك حياة ولا خلافة . ولا أرض ولا عمار للكون .

ومن الشبه أيضا : قال خصوم أهل السنة ماجاء في قول الله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام حينما نظر الى الكواكب فقال (هذا ربي) وهذا كفر وقد صدر عن ابراهيم وهو نبي بالاتفاق .

وأجاب أهل السنة عن هذه الشبهة : بأن ابراهيم عليه السلام قال (هذا ربي) على سبيل الفرض والتقدير لأن من أراد ابطال قول يفرضه أولا ثم يسعى في ابطاله

مستعينا في ذلك بأدلة .

ومن الشبه التي ألقيت على سيدنا ابراهيم من قبل أعداء أهل السنة قوله (بل فعله كبيرهم) يدعون أن هذا كذب والكذب ذنب فكيف يصدر عن نبي مرسل ؟ .

أجاب أهل السنة بقولهم بأن ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستهزاء والسخرية بفكر القوم ليثبت لهم أن الذي حطم هذه الأصنام هو كبيرهم في حين أنهم يعرفون جيدا أنه حجر لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه فكيف بتحقيق النفع لغيره .. الخ هذه الشبهة التي نحن في غنى عن ذكرها حتى لا يطول بنا المقام .

الايمان والاسلام (وقانون التكفير للفرق الضالة) :

ان الاسلام تسليم وانقياد ظاهر ، ولكن قد يصاحبه الاخلاص ، بأن يصدق المرء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وبذلك يكون مؤمنا حقا . (١)

ويذهب أهل السنة الى أن الايمان معرفة وتصديق بالقلب ، لكنهم يختلفون حول تسمية الاقرار والطاعات الظاهر ايمانا ، في الوقت الذى يتفقون فيه على وجوب جميع الطاعات المفروضة ، وعلى استحبابها جميع النوافل المشروعة في الاسلام .

ومن رأى أهل السنة ،أن اسم الايمان لا يزول بذنب دون الكفر ، فلا يزول عنه اسم الايمان وان فسق بمعصية ما .
وقد تقرر في الاسلام أنه لا يحل قتل امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : من ردة ، أو زنا بعد احصان ، أو قصاص بمقتول هو كفوء .
وقد خالف الخوارج هذا ، اذ أباحوا قتل كل عاص لله تعالى .

وقد أجاد البغدادى في الرد على هذه الآراء الشاذة عن الدين في هذا المقام ، حيث يقول : لو كان المذنبون كلهم كفرة ، لكانوا مرتدين عن الاسلام ، ولو كانوا كذلك ، لكان الواجب قتلهم ، دون اقامة الحدود عليهم ، ولم يكن لوجوب قطع يد السارق وجلد القاذف

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني ص ٤٤ ـ ٤٥

ورجم الزاني المحصن ، فائدة لأن المرتد ليس له حد الا القتل ٠ (١)

ويلاحظ البغدادي كذلك بحق ، أن التوسع في التكفير ، يؤدي الى الغاء الحدود جملة ، وهذا مناقض لرأى القرآن الكريم ، فان لكل ذنب حدا خاصا به ٠

قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ٠

ويسير أهل السنة وفق تعاليم الاسلام ، حين يقررون أن أركان الاسلام خمسة : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ٠

وبذلك يكون كافرا ، كل انسان يسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة أو يتأولها ، بمعنى موالاة فرد أو جماعة ، كما تأولها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة ٠ (٢)

ومما يؤكد مذهب أهل السنة أيضا نرى الامام البياض بحصر مواضع الأكفار كما يبينها الامام أبو حنيفة فتكون في ثلاثة مواضع : نسبة النقص الصريح الى الله تعالى ، وانكار ما علم من الدين بالضرورة وتأويل ما علم قطعا كونه على ظاهره ٠

وهذه الأمور الثلاثة لا تخرج عن أوسطها ٠ يقول الامام الرازي :

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٥١ — ٣٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٥ — ٣٤٦

الكفر عبارة عن انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به ، فعلى هـذا لا تكفر أحدا من أهل القبلة ، لأن كونهم منكرين لما جاء بـه الرسـول غير معلوم ضـرورة بـل نظـرا ٠ (١)

وأهل القبلة هم الذين أسلموا على النحو الذى قبلـه رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى اعـلان الشهادتين ، وأصله ما روى عـن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنـا وأكـل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليـه ما علينا " ٠ (٢)

ولقد يقر أهل السنة ، بأن الصلوات المفروضة خمس ، ويحكمـون بالكفر على من أسقط وجـوب بعضهـا ٠ وقد ضل مسيلمة الكذاب اذ أسقط وجـوب صلاتى الصبح والمغرب ، وجعل سقوطهما سهوا لامرأته سجـاح المتنبئة ولذا كان كافـرا ملحـدا ٠

وان عقـد صلاة الجمعة أمر واجـب شرعا ، وبهذا كفـر بعض الخـوارج والروافـض ، الذين ذهبوا الى أنه لا جمعة حتى يظهر امامهم المنتظر٠

وكـذلك يقر أهل السنة بباقى أركـان الاسلام من زكاة وصيام وحج ومن ينكـر أمر من هذه الأركـان عـد كافرا ، وكما يؤكـد أهل السـنة وجوب الجهـاد ضد الأعـداء ، لنصرة الاسلام حتى يسلموا ،أو يـؤدوا الجـزية ،غير أنهم لو كانوا مشركيـن لم يقبل منهم الا الاسـلام ٠

---

(١) المحصـل للـرازى ص ١٧٥

(٢) شرح العقيدة الطحاويـة ص ٢١٩

وكذلك عند أهل السنة لا تستباح النساء الا بنكاح صحيح ، ولهذا فقد أكفر أهل السنة كلا من المبيضة والمحمرة والحزمية الذين أباحوا الزنا ، وكذلك أكفروا بعض الخوارج الذين أسقطوا حد الخمر والرجم.

ومن أصول أحكام الشريعة : الكتاب والسنة واجماع السلف ، وقد رتب أهل السنة على هذا تكفير من لم ير اجماع الصحابة حجة ، وتكفير الخوان في ردهم حجج الاجماع والسنن ، وتكفير بعض الروافض ، لما ذهبوا اليه من أنه لا حجة في شئ من ذلك وانما الحجة في قول الامام الذى ينتظرونه . نعوذ بالله تعالى من شر هذه الأقوال الضالة المنحرفة .

وقد ذهب أهل السنة في الأمر والنهى ، الى أن أفعال المكلفين خمسة واجب ومحظور ومسنون ومكروه ومباح . وهذا كله في أفعال المكلفين دون أفعال البهائم والمجانين والأطفال ، فانها لا توصف بالاباحة والوجوب والحظر بحال .

والواجب : هو ما أمر الله تعالى به ، على وجه اللزوم وتاركه مستحق للعقاب على ترك العمل به .

والمحظور : هو ما نهى الله تعالى عنه وفاعله يستحق العقاب على فعله .

والمسنون : هو ما يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه .

والمكروه : هو ما يثاب تاركه ، ولا يعاقب فاعله .

والمباح : ما ليس في فعله ثواب ولا عقاب ، ولا في تركه ثواب ولا عقاب .

وأن كل ما وجب على المكلف من معرفة أو قول أو فعل فانما وجب عليه بأمر الله تعالى اياه به . أما كل ما حرم على المكلف فعله فهو ينهى الله تعالى اياه عنه وبذلك تقرر أنه لو لم يرد الأمر والنهى من الله تعالى على عباده ، لم يجب عليهم شىء ، ولم يحرم عليهم شىء .

وما قرره أهل السنة هنا ، انما هو على غير ماذهب اليه البراهمة والقدرية الذين يرون أن التكليف يتوجه على العاقل بخاطرين يخطران بقلبه : الأول من قبل الله تعالى ، يدعوه به الى النظر والاستدلال ، والآخر من قبل الشيطان يدعوه به الى العصيان ، وينهاه به عن طاعة الخاطر الأول .
وقد استنكر أهل السنة على البراهمة والقدرية هذا الهذيان الذى يؤدى الى الدور والاحالة .

وجملة القول فى هذا أنه لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا ارتكب واحدا من الأمور الآتية :

١ — نفى الصانع القادر المختار العليم (الله) .
٢ — أو أشرك به سواء أكان فى وجوب الوجود كالقائلين بالنور ، والظلمة ، أو فى الخالقية كالقائلين بأن فاعل الخير النور ، وفاعل الشر الظلمة .

ومعلوم بداهة أنه لا يصح تكفير المعتزلة هنا لقولهم بخلق العبد

أفعال نفسه الاختيارية لأن العبد ووسائله مخلوق لله وهم ممن يعترفون بذلك ،

وقد سأل أبو القاسم الأنصارى وهو من أفاضل تلامذة امام الحرمين عن تكفيرهم فقال : لا يجوز تكفيرهم لأنهم مزهوه عما يشبه الظلم والقبح وما لا يليق بالحكمة ، وسئل أيضا عن أهل الجبر فقال لا يجوز تكفيرهم لأنهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وايجاد ٠

وتكفير من أشرك به فى المعبودية كعبدة الأصنام والكواكب والنار والطبيعة والبشر ٠

٣ — وانكار النبوة : كالبراهمة وأشباههم ٠

٤ — وانكار ما علم بالضرورة ما جاء محمد صلى الله عليه وسلم به : كمن ينكر ركنا من الأركان الخمسة للاسلام أو ينكر البعث الجسمانى ٠

٥ — أو انكار أمر مجمع عليه قطعا ٠ كمن ينكر الصلوات المفروضة خمسا ، أو ينكر عدد ركعات كل صلاة منها أو ينكر كون كل صلاة منها تؤدى بقيام وركوع وسجود وجلوس ، على النحو المعروف ٠

٦ — أو استحلال المحرمات بشروط ثلاثة :

أ — أن يحصل الاجماع على تحريمها ٠

ب — أن يكون حرمتها من ضروريات الدين ٠

جـ — أن يكون الشخص على علم بما تقدم ٠ (١)

---

(١) د٠ يحى هاشم : الفكر الاسلامى ص١٨ ، ١٩

وأنه لمن علامات الكفر الدالة على شيء مما تقدم :
السجود للصنم ، أو للشمس من غير اكراه ، واحتقار المصحف ،واهانة الكعبة من غير اكراه أيضا ، وتارك الصلاة عمداً واستحلالا .
وهناك جماعات نحكم عليها بالا بتداع في الدين ولا نحكم عليهم بالكفر: مثل القائلين بخلق القرآن بتأول ، والقادحين في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يكفرهم ، وأما بما يوجب تكفيرهم فهم يكفرون . ونص الامام الشافعي على عدم تكفير من قذف عائشة رضي الله عنها وسب الصحابة بما لا يكفرهم .

الامامة وشروطها :

من مذهب أهل السنة : أن الخلافة أو الامامة فرض واجب على الأمة ، لأجل اقامة الامام . والمصالح فى هذا كثيرة :
منها : أنه ينصب لهم القضاة والأمناء ، ويضبط ثغورهم ، ويغذى جيوشهم ، ويقسم الفئ بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم .
وأن طريق عقد الامامة للامام فى الاسلام هو الاختيار بالاجتهاد ، ولا يوجد نص من الرسول صلى الله عليه وسلم على امامة واحد بعينه . ويختلف موقف الرافضة عن ذلك ، حيث اعتقدوا بوجود نص صريح مقطوع بصحته ، وقد أكد ابن خلدون أن كل ما تمسك به الشيعة من نصوص حول الامامة فانما هو موضوع . (١)

ويمكن الرد عليهم : بأنه لو كان الأمر كما قالوا لنقل ذلك نقل ثلة ، ولا ينفصل من ادعى ذلك فى على ، مع عدم التواتر فى نقله ممن ادعى مثله فى أبى بكر أو غيره مع عدم وجود نقل فيه .

ومن شرط الامامة فى رأى أهل السنة ، النسب من قريش وهم : بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان .
وهذا يختلف عن رأى بعض الضرارية ، الذين يزعمون أن الامامة تصلح

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٧١

فى جميع أصناف العرب وفى الموالى والعجم .
ويختلف كذلك عن مذهب الخوارج فى قولهم بامامة زعمائهم الذين كانوا من ربيعة وغيرهم ، مثل نافع بن الأزرق ، ونجدة بن عامر وعبد الله بن وهب الراسبى وأمثالهم ، هذا وان الخوارج لا يأخذون بحديث الأئمة من قريش ، كما يأخذ به أهل السنة .

أما شروط الامام لدى أهل السنة فمنها : العلم والعدالة والسياسة حيث أوجبوا له من العلم مقدار ما يصير به أن أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعية وأوجبوا له من العدالة بمقدار ما يجيز الحكم بشهادته ، وذلك بأن يكون عادلا لرعيته ، عدلا فى دينه ، مصلحا لماله وحاله ، غير مرتكب لكبيرة ، ولا مصر على صغيرة ، ولا تارك للمروءة فى جل أسبابه .

أما العصمة فلا يشترط للامام من الذنوب كلها ، لأن العصمة للنبى وحده وهذا يعكس ما يراه بعض الامامية ، من أن الامام يكون معصوما من الذنوب كلها ، كما يجوز فى رأيهم أن يقال أنه ليس بامام حال التقية ، وهو امام حقيقة ، وبهذا أباحوا له الكذب ، مع تأكيدهم على عصمته من الكذب وهذا تناقض صريح .

وان أهل هذه المذاهب الضالة الباطنية ، لا يهمهم التناقض فى شىء لأنهم قالوا انما هو أشنع وأقبح ، حين ادعوا أن الامام له صفات الاله ، وأن هذا الامام حل فى كل شىء مادة وروحا .

ومن رأى أهل السنة هنا أن الامامة تنعقد بمن يعقدها

لمن يصلح للامامة ، اذا كان العاقد من أهل الاجتهاد والعدالة وبذلك فانه لاتصح الامامة الا لواحد فى جميع أرض الاسلام ، الا اذا كان هناك فاصل أو حاجز طبيعى أو عدد ، فهنا يجوز لأهل الصقع المعزول أن يعقدوا الامامة لواحد يصلح لها منهم ، حماية لهم .

وقد أقر أهل السنة بامامة أبى بكر الصديق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى هذا على خلاف مع بعض الرافضة ، الذين أثبتوا الامامة لعلى بن أبى طالب وحده ، وكذا مع بعض الراوندية الذين أثبتوا امامة العباس وحده .
ويفضل أهل السنة :أبا بكر وعمر ، على من جاء بعدهما من الخلفاء لكنهم لم يتفقوا تماما على المفاضلة بين على وعثمان .
ويقولون أيضا بموالاة عثمان فى حينه ويتبرأون ممن وصفه بالكفر ، كما يقرون بامامة على فى وقته ، وبتصويبه فى حروبه بالبصرة وصفين والنهروان .

ويحكم أهل السنة بمروق أهل النهروان عن الاسلام ،لأن النبى صلى الله عليه وسلم سماهم (مارقين) لأنهم حكموا بكفر على وعثمان وعائشة وابن عباس وطلحة والزبير وغيرهم ممن تبع عليا بعد التحكيم وكذلك أكفروا كل ذى ذنب من المسلمين .

ويستنتج أهل السنة من هذا كله أن من أكفر المسلمين وأكفر

أخبار الصحابة فهو الكافر دونهم ، لأن قضية التكفير ليست بالأمر الهين السهل لدى أهل السنة ولا بد فيها من ثبوت أدلة مؤكدة وفق الشروط السابقة المذكورة .

والآن نود عرض بعض الآراء لعلماء أجلاء لهم باع كبير في حقل العلم كل على حدة لأهميته ولتضح حقيقة هذه الشروط جلية واضحة .

أولا : رأى الماوردى :

يذكر الماوردى أن الشروط المعتبرة فى أهل الامامة سبعة : العدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والأحكام ، وسلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها ، وسلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض والرأى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح والشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو .

وأخيرا النسب ، وهو أن يكون من قريش ، لورود النص به وانعقاد الاجماع عليه وذلك لأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه احتج يوم السقيفة على الأنصار فى دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عبادة عليها وقالوا " منا أمير ومنكم أمير " بقول

النبى صلى الله عليه وسلم : الأئمة من قريش فأقلعوا عن التفرد بها ورجعوا عن المشاركة فيها تسليما منهم لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم كان أن رضوا بقول أبى بكر نحن الأمراء وأنتم الوزراء .

وأيضا فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : قدموا قريشا ولا تقدموها ، أى ولا تتقدموا عليها ، وليس فى هذا النص المسلم به شبهة لمنازع فيه ولا قول لمخالف له . (١)

ثانيا : رأى ابن حزم الأندلسى :

يذكر هذا الفقيه أنه يجب أن ينظر فى الشروط التى لا تجوز الامامة لغير من هى فيه ، وهى أن يكون من قريش لاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن الامامة فيهم ، أن يكون بالغا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " رفع القلم عن ثلاثة " فذكر الصبى حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وأن يكون رجلا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة " .

وأن يكون مسلما لأن الله تعالى يقول (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (٢)

---

(١) راجع : الأحكام السلطانية ص ٤ ، ٥

(٢) سورة النساء آية : ١٤١

والخلافة أعظم السبيل ·

وأن يكون متقدما لأمره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا الله بالجملة غير معلن بالفساد فى الأرض لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (١)

ولأن من قدم من لا يتقى الله عز وجل ، أو معلنا بالفساد فى الأرض غير مأمون ، أو من لا ينفذ أمرا ، أو من لا يدرى شيئا من دينه ، فقد أعان على الاثم والعدوان ·

ومما يؤيد هذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى حديث له مع أبى ذر " يا أبا ذر انك ضعيف لا تأمرن على اثنين ولا توليين على يتيم " ·

وقال تعالى (فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) (٢)

فصح أن السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شئ فلابد له من ولى ، ومن لا بد له من ولى لا يجوز أن يكون وليا للمسلمين ، فصح أن ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطلة ولا تنعقد أصلا ·

وبعد أن يذكر ابن حزم تلك الشروط واستدل لكل واحد منها قال انه يستحب مع ذلك أن يكون عالما بما يخصه من أمور الدين

---

(١) سورة المائدة آية : ٢

(٢) أى على سند الدين الذى عليه ·

من العبادات والسياسة والأحكام مؤديا للفرائض كلها ، لا يخل بشئ منها ، مجتنبا لجميع الكبائر سرا وجهرا ، مستترا بالصغائر ان كانت منه فهذه أربع صفات يكره أن يلى الامامة من لم ينتظمها فان ولى فولايته صحيحة وتقرها وطاعته فيما أطاع الله فيه واجبة.

وانتهى ابن حزم فى هذا المبحث بقوله : والغاية المأمولة فيه أي فى الامام أن يكون رفيقا بالناس فى غير ضعف ، شديدا فى انكار المنكر فى غير عنف ولا تجاوز للواجب ، متيقظا غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال فى حقه ، ويجمع هذا كله أن يكون الامام قائما بأحكام القرآن وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة . (١)

ثالثا : رأى الجوينى فى الامامة وشروطها :

يذكر امام الحرمين أن من شرائط الامام أن يكون من أهل الاجتهاد وبحيث لا يحتاج الى استيفاء غيره فى الحوادث ، وهذا متفق عليه ، وأن يكون متصديا الى مصالح الأمور وضبطها ، ذا نجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور .

واذا نظر حصيف فى النظر الى الأمة لا تزعزعه هوادة نفس وخور طبيعة عن ضرب الرقاب والتنكيل بمستوجبى الحدود ،

---

(١) راجع :الفصل فى الملل والاهواء والنحل لا بن حزم ٤/ ١٦٦- ١٦٧ .

ويجمع ماذكرناه الكفاية وهى مشروطة اجماعا .

ومن شرائطها عند أصحابنا (يريد الشافعية) أن يكون الامام من قريش اذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم " الأئمة من قريش " وهذا مما يخالف فيه بعض الناس وللاحتمال فيه عندى مجال والله أعلم بالصواب .

ولا خفاء فى اشتراط حرية الامام واسلامه ، وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون اماما وان اختلفوا فى جواز كونها قاضية فيما يجوز شهادتها فيه . (١)

رابعا : رأى الباقلانى فى الامامة وشروطها :

أما الامام الباقلانى نرى له كلاما طويلا فى هذه الناحية وله من الأهمية بمكان ولهذا يتحتم علينا أن نحاول نقل كلامه هنا بألفاظه تقريبا حتى نتمكن من اعطاء صورة واضحة عن رأيه فى هذا الأمر . نراه يقول :

" فان قال قائل : فخبرونا ما صفة الامام المعقود له عندكم ؟ قيل لهم : يجب أن يكون على أوصاف منها أن يكون قرشيا من الصميم ، ومنها أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين ، ومنها أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب وتدبير

---

(١) راجع : الارشاد للامام الجوينى ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

الجيوش والسرايا وسد الثغور وحماية البيضة وحفظ الأمة والانتقام من ظالمها والأخذ لمظلومها وما يتعلق بذلك من مصالحها ، ومنها أن يكون ممن لا تلحقه رقة ولا هوادة فى اقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب ، ومنها أن يكون من أمثلهم فى العلم وسائر الأبواب التى يمكن التفاضل فيها ، وليس من صفاته أن يكون معصوما ولا عالما بالغيب ولا أفرس الأمة وأشجعهم ولا أن يكون من بنى هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .

تلك هى الشروط التى تشترط فى الخليفة أو الامام كما ذكرها الامام الباقلانى . (١)

خامسا : رأى الامام الغزالى فى الامامة :

تكلم الامام أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه بايجاز عن شروط الامامة فقال فى بيان من يتعين من سائر الخلق ليكون اماما :
ليس يخفى أن التنصيص على واحد يجعله اماما بالتشهى غير ممكن ، فلابد من تميز بخاصية يفارق سائر الخلق بها ، فتلك خاصيته فى نفسه بأن يكون أهلا لتدبير الخلق وحملهم على مراشدهم بالكفاية والعلم والورع ، وبالجملة خصائص القضاة تشترط فيه مع زيادة نسب قريش وعلم هذا الشرط الرابع بالسمع حيث قال

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى ص ١٠٦

النبى صلى الله عليه وسلم " الأئمة من قريش " (١) .

وهنا نرى الغزالى يشير الى أنه يشترط فى الامام ما يشترط فيمن يكون قاضيا ، وما علينا الا أن نبين هذه الشروط الواجب توافرها فى القاضى كما يراها أبو حامد ، وهذه الشروط هى أن يكون حرا ذكرا مجتهدا ، بصيرا عدلا بالغا ، فلا يجوز قضاء المرأة والأعمى والصبى والفاسق والجاهل والمقلد .

وان تعذرت هذه الشروط وغلب صاحب شوكة فاسق فكل من ولاه نفذ حكمه كما ينفذ حكم البغاة . (٢)

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى ص١٠٦

(٢) راجع : الوجيز فى فقه الامام الشافعى ٢/٢٣٧

السمعيات :-

السمعيات هي الأمور التي يجب اعتقادها وطريق اثباتها الكتاب والسنة والاجماع فان العقل لا يستقل بادراكها وهي أمور كثيرة كالملائكة والجن وما يتبع بعد الموت من بعث وحشر وحساب الى غير ذلك مما أخبر به الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع المسلمين من أمور الغيب وهذه الأمور السمعية كثيرة نأخذ بعضا منها على سبيل التمثيل :-

أولاً الملائكة :- هو ذوات حقيقية موجودة متصفة بصفات جليلة حميدة وأعمال شريفة رشيدة . فالملائكة عالم حقيقي الوجود وان كان غيبتي عن العيان المشهود وكرمهم الله تعالى فبرأهم من الشهوات التي ابتلى بها الانس والجن وعصمهم من أسباب ورود وافع الشر والمعصية أو فطرهم على طاعته وعبادته فهم بالفطرة لا يعصون الله ماأمرهم و يفعلون مايؤمرون * والملائكة مشتقة من الألوكة وهي الرسالة لأنهم رسل الله

تعالى وتيسيره وعونه والدليل على وجود الملائكة[1] ..
آيات كثيرة ففي آخر سورة البقرة قوله تعالى :
" آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله
وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " (٢)

وقوله تعالى : " ينزل الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون " (٣)

وقوله " الحمد لله فاطر السموات و الأرض جعل الملائكة
رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء
ان الله على كل شيء قدير " (٤) وقوله " لن يستنكف
المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا " . (٥)

---

(١) راجع عالم الملائكة الأخيار وعالم الشياطين الأشرار ص ٨ د /
عبد الخالق العطار . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ .
(٣) سورة النحل آية ٢ (٤) سورة فاطر آية ١ .
(٥) سورة النساء آية ١٧٢ .

من هنا يجب أن يعتقد المؤمن اعتقادا جازما أن الله تعالى خلق عالما أسماه سبحانه وتعالى الملائكة وهم أرواح طاهرة شريفة خيرة علوية قائمة بأجسام نورانية خفيفة لطيفة رقيقة قادرة على التمثل والتشكل بأمثال وأشكال طاهرة طيبة ذكية ومنكر الملائكة سواء كان بالتصريح أو التلميح كافر كفر صريح .

طبيعة الملائكة ووظائفهم :-

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته ، والقيام بأوامره ،وهم يتصرفون فى شئون العالم بإرادة الله ومشيئته وهو سبحانه يدبر بهم ملكه وهم لا يقدرون على شئ من تلقاء أنفسهم : " يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون " (١)

---

(١) سورة النحل آية : ٥٠

بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون " (١)

" لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " (٢)

وخلقهم الله من نور : فقد روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم " (٣) كما أن خلقهم متقدم على خلق الانسان وذلك واضح من خلال ما أخبر الله عز وجل ملائكته بالسجود لآدم لأنه سيجعل منه المخلوق الأول للانسان ويستخلفه في أرضه قال تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى أعلم ما لا تعلمون " (٤)

(١) سورة الأنبياء آية ٢٧ . (٢) سورة التحريم آية ٦ .
(٣) مسلم وأحمد فى سندهما نقلا عن الجامع الصغير للسيوطى : جـ ٢ ص ٤ . (٥) سورة البقرة آية ٣٠ .

وللملائكة أعمالا متعددة : فمنهم حملة العرش ، قال تعالى : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " . (١)

وقال " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به " . (٢)

والموكلون بالنار وهم الزبانية مع مالك خازن النار قال تعالى " عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة ... " . (٣)

والموكلون بالجنة مع رضوان : كما ورد في السنة وهم يسلمون على أهل الجنة ويحيونهم كما ورد في غير آية من كتاب الله . قال " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " (٤)

ومنهم من ينزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام وهو الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه " . (٥)

---

(١) سورة الحاقة ١٧ (٢) سورة غافر آية ٧

(٣) سورة المدثر ٣٠ ، ٣١ . (٤) سورة الرعد آية ٢٤ .

(٥) سورة البقرة آية ٩٧ .

ويسمى الروح الأمين . قال الله تعالى " وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين " على قلبك لتكون من المنذرين "(١) ويسمى روح القدس قال تعالى : " قل نزله روح القدس من ربك بالحق "(٢) . .

كما أن منهم الموكل بالمطر والسحاب والرزق وهو : ميكائيل) ومن ينفخ في الصور وهو اسرافيل . ومن يسأل الميت في القبر وهما منكر ونكير وعزرائيل ملك الموت . وفيهم قال تعالى " حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون "(٣) .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٢) سورة النحل آية ١٠٢ . (٣) سورة الأنعام آية ٦١ .

عصمة الملائكة :-

المذهب الحق أن الملائكة بفطرتهم معصومون ومنزهون عن ارتكاب الآثام والخطايا لقوله تعالى " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون "(١). " يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون "(٢). " يسبحون الليل والنهار لا يفترون "(٣)

وقد اعترض المغالون كبعض المعتزلة بقوله تعالى على لسان الملائكة " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك "(٤). فان في قولهم هذا غيبة لآدم وتزكية لنفوسهم واتباعا للظن .

والجواب : أن غرضهم من السؤال هو استعلام الحكمة في خلقه الانسان فلم تكن هناك غيبة أو تزكية أو اتباع وبالتالي لا يقدح ذلك في عصمتهم "(٥)

(١) سورة التحريم آية ٦ (٢) سورة النحل آية ٥٠ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٠ (٤) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٥) راجع شرح المقاصد ص ١٣٧ ، شرح البيجوري ص ١٥٦ .

وقد أثبت القرآن الكريم لهم ذلك فى قوله " بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " (١)

الايمان بالملائكة :-

واذا كان هذا هو شأن الملائكة فى عالم الروح ودورهم الايجابى فى الكون والطبيعة واذا كانت هذه هى صلتهم بالانسان فى هذا العالم وفى العالم الذى يأتى بعده - كان من الواجب الايمان بوجودهم ، ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبادة الله عبادة خاشعة .

وفى الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التى خلق الانسان من أجلها وهى أداء أمانة الحياة ، والقيام بالخلافة عن الله فى الأرض ، ولهذا كان الايمان بالملائكة من البر ومن دلائل الصدق والتقوى . " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة " (٢)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

وهذا هو نهج الانبياء والمؤمنين الذين انكشفت الحقائق امام ابصارهم . فادركوا من الكون مالم يدركه الغافلون .

ان هذا العالم الغيبي لا يدرك بالحس ولا بالعقل ، وسبيل معرفته هو الوحي لانه غيب من الغيوب ومنكره كافر ، وكل مايجب الاهتمام به أن تؤمن بهم ، وترعى حق صحبتهم ، وتوثق صلتنا بهم كما أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم " ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم " .

وقال الامام أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي في أرجوزته السماء بالجوهر المضيئة :-

القول بالملائك الكرام * فريضة لصحة الاسلام
وهم عباد الخالق القهار * قد خلقوا من خالص الأنوار
حياتهم بالذكر والتسبيح * وما لهم في الذكر من تبريح
قاموا صفوفا للعزيز الماجد * يدعونه على مقام واحد

قد طهروا عن شهوة العصيان * وعن شرور النفس والشيطان ٠

ومالهم من نعمة الجنان * حظ ولا من رؤية الرحمن

ومالهم نسل ولا ولادة * ولا لهم شغل سوى العبادة

فمنهم كتاب أعمال الورى * ومنهم حافظ سكان الثرى ٠

ومنهم موكل بالرزق * يوصل أو يزوى بأمر الحق

فوصف حال القوم بالتفصيل * فى صحف الآثار والتنزيل

ونفيهم بالجحد والانكار * كفر صريح موجب للنار

ومن جرى لسانه بالطعن * والنقص فيهم فهو أهل اللعن ٠ (١)

---

(١) انظر عالم الملائكة الأخيار ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ٠

ثانيا : الجـــن :-

حقيقة الجن والشياطين :- لعلماء العقيدة في حقيقـــة الجن والشياطين رأيان :-

الأول :- أن حقيقتهمـا واحدة وهما أجسام نارية عقلية قابلـة للتشكـل بالأشكال الحسنة والقبيحـة . غير أن الجـن يشمـل المطيع والعاصي ، أما الشيطـان فهو عاص متمرد .

أما أصحاب الرأى الثاني :- فيرون أن حقيقتهمـا متغايـرة ، فعرفـوا الجن بأنهـم : " أجسام هوائيـة لطيفـة تتشكل بأشكـال مختلفـة وتظهـر منهـا أفعـال عجيبـة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي .

أما الشياطين فهي أجسام نارية مهمتها القاء النفس في الغوايـة والفسـاد والضلال . (١)

يقول الله تعالى " يابني آدم لا يفتننكم الشيطـان كمـا أخرج أبويكـم من الجنـة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهمـا

---

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٢٢ .

انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »(١)

وسمى الجنى لاجتنانهم أى لخفائهم واستتارهم عن العيون . « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين »(٢)

أى ستره الجنين لتخفيه واستتارته والأدلة من القرآن على وجود الجن كثيرة منها « ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون »(٣). « يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان »(٤). وقوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس »(٥).

هذه الآيات وغيرها دليلا قاطعا على أن الله تعالى خلق خلقا سماه الجن وحيث أن الكفر هو انكار شىء

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ . (٢) سورة الأنعام آية ٧٦ .
(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٤) سورة الرحمن آية ٣٣ .
(٥) سورة آية

معلوم من الدين بالضرورة فان انكار عالم الجن بأوصافه وأحواله وأفعاله الواردة فى القرآن الكريم وفى السنة الثابتة المؤكدة الصحيحة يعتبر كفرا سواء كان الانكار والجحود بالتصريح أو التلميح .

ويقولون جن الرجل جنونا فهو مجنون أى خفى عقله واستتر ومجنون أى به مس من الجن وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى يفى قوله تعالى " أفترى على الله كذابا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالا خرة فى العذاب والضلال البعيد . (١)

---

(١) سورة سبأ آية ٨

طبيعة الجنة وتكليفهم وعدم علمهم الغيب :-

الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الانسان ولكنهم مجردون عن المادة البشرية مستترون عن الحواس لا يرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية ولهم القدرة على التشكل وخلقوا من نار قال تعالى : " خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار " (١) وقال على لسان ابليس " خلقتني من نار وخلقته من طين " (٢)

والدليل على أنهم مستترون عن الحواس قوله تعالى : " انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " (٣)

والدليل على أنهم مكلفون كالانس تماما قال تعالى " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٤) وفى القرآن ما يثبت

---

(١) سورة الرحمن آية ١٤ ، ١٥ .
(٢) سورة الاعراف آية ١٢ . (٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .
(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

أيضا أن رسل الجن من البشر قال تعالى " يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين "(١) وقوله تعالى " سنفرغ لكم أيها الثقلان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يامعشر الجن والانس أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان "(٢)

ومعنى الآيات : سنفرغ لكم لنحاسبكم حسابا دقيقا لا يشغلنا عن ذلك شئ والثقلان هما الجن والانس .

وهناك حقيقة هامة ينبغى الاشارة بها فيما يتعلق بالجن أنهم لا يعلمون الغيب قال الله تعالى " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول فانه

---

(١) سورة الأنعام آية ١٣٠
(٢) سورة الرحمن آية ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ◦(١)

وما يؤكد عدم علمهم الغيب ماجاء فى سورة سبـــا فى قصتهم مع سليمان عليه السلام " قال " فلما قضينـا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأتـه فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثـوا فى العذاب المهيـن " . (٢)

ومما تقدم يتضح أن وجود الجن ثابت بالكتاب والسنـة اذا منكره كافر لأنه مكذب لصريح القرآن والنبى صلى اللـه عليه وسلم فيما أخبر بـه .

---

(١) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة سبـــأ آية ١٤ .

من السمعيات قضية الموت ، والبحث فيها يتضمن أمور كثيرة منها :-

١- معنى الموت ؟ :

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى - أن خلق العباد من العدم لأن الخلق من العدم أمر يعجز عنه كل ماسوى الله ، وقسم الله الأجل بين العباد فمنهم من هو طويل العمر ، ومنهم من هو قصيره ، ومنهم من هو بين وبين ، قال الله تعالى " ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون " (١) وقال أيضا فى النقلة من طهور الى آخر وفيه أيضا طول العمر وقصره حسب ماهو موجود فى علم الله : " يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا " (٢)

---

(١) سورة المؤمنون ٤٢ ، (٢) سورة الحج آية ٥ .

وقوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت " . وقوله " أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة " الى آخر هذه الآيات التى تحدثت عن الموت ومنها يفهم أن الله سبحانه وتعالى سجل وقضى على كل مخلوق عند نهاية أجله الذى قدره له فلا يتقدم عنه لحظة ولا يتأخر عنه برهة من الزمن .

فالموت فيه الموعظة والتذكرة بيوم القيامة لأن المرء دائما مشدود مع زخرف الدنيا ومنكبا فى شهواته بمختلف أنواعها ، وذكرى الموت يجب أن تكون نصب أعيننا جميعا لأن نسيانه ضلال مبين " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وكفى بالموت واعظا) . اذن من لم يتعظ به لم يك له واعظا حتى ولو كان واعظه صلى الله عليه وسلم .

واذا كان الأمر كذلك فما هى حقيقة الموت ؟

اذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال نرى أن المتكلمين اختلفوا فى حقيقته الى شعبتين أو فرقتين :-

الفرقة الأولى : الأشاعرة :- تراهم ذهبوا الى أن الموت وجودى . وعرفوه بأنه كيفية - أى صفة وجودية

تضـاد الحيـــاة " . (١)

وتفهم من هذا التعريف أنه تعريف مبنى على تقابـــل الشئ بضـده .

واستدل الأشاعرة ومن وافقهم على تفسيرهـم للموت بالمعنى السابق بقول الله تعالى " تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكـــم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفـــور . " (٢)

ومعنى الخلق للشئ هنا ايجاده ، وقد وقع الخلـــق على الموت وعلى الحياة معا ، فهما أمران وجوديان .. كمـــا أن الموت فى الآية ضنـــو الحيـاة ، والحيـاة أمر وجـود ، لأنها حركة وحس ونماء وكلهـا أمور وجوديـة فهى اذن أمـــر وجودى وكذلك الموت صنوهـــا . (٣)

---

(١) المحصل لأفكار المتقدمين ص ٩٩ .
(٢) سورة الملك آية ٢ : ٢ .
(٣) حاشيـة الشرقـــاوى ص ٩٤ .

أما الفرقة الثانية منهم : الزمخشري من المعتزلة .
والاسفرايينى من أهل السنة :- فقد ذهبوا
الى أن الموت عدمي وعرفوه بأنه عدم الحياة
عما من شأنه أن يكون حيا .

وبناء على هذا التفسير لهذه الفرقة فان التقابل
بين الموت والحياة يكون تقابل العدم والملكة. (١)

وأصحاب هذا الرأى ذهبوا الى تأويل الخلق فى الآية
بمعنى التقدير أى الذى قدر الموت والحياة ولكن هذا
التأويل غير مرضى عنه عند المناطقة لأنه تعريف بالسلب
وهو أى التعريف بالسلب ، بأن يكون السلب داخلا فى
مفهوم حقيقة الشئ الموجود . وهذا جمع بين الضدين
أى بين السلب أى العدم والوجود فى شئ واحد
فى آن واحد ولذلك كان تعريف الموت بأنه (كيفية تضاد
الحياة) أسلم من تعريف الزمخشري ومن تبعه ،
لأن الضدين أمران وجوديان فهما مخلوقان وتأويلهم

---

(١) تلخيص المحصل ص ٩٩ .

للآية بالتقدير للموت والحياة لا يجوز لأنه متى كان التعبير بالحقيقة ممكن ولا يترتب عليه محال • لا يجوز العدول عنه واللجوء الى التأويل واستعمال المجاز •

واذا أردنا أن نفرق بين الضدين والعدم والملكة نرى أن الضدين أمران وجوديان مثل الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلال • أما العدم والملكة فهما بخلاف ذلك •

لأن العدم غير موجود والملكة موجودة والعدم والملكة يساويان النقيضين •

والنقيضان :- هما لا يجتمعان ولا يرتفعان بمعنى يكون احدهما موجودا والاخر معدوما • أى أحدهما مثبت والآخر منفى •

هذا : ووقوع الموت أمر بدهى لا يحتاج فى اثباته الى دليل لأن وقوعه بالمشاهدة واضح فكل ساعة أناس يموتون ويشيعون الى القبور ويدفنون •

فهو واقع بالمشاهدة آمن به الناس جميعا مؤمن قال الله تعالى " كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور " (١)

ومن هنا فقد أوجب الاسلام ، التصديق به واعتبر منكره كافرا لمخالفته أمرا معلوما من الدين بالضرورة .

قضية الفناء :-

بعد أن عرفنا معنى الموت وآراء العلماء فيه وأدلتهم ووقفنا على الرأى السليم وأيدنا ماتراه قويا ومؤيدا بأدلة قوية ، نريد هنا أن نناقش قضية هامة مترتبة على قضية الموت وهى قضية الفناء بمعنى " هل الموت فناء ؟ " أم أنه عبارة عن تفريق لأجزاء الكائن الحي واختلال النظام والهيئة التي كان عليها الكائن الحى أم أنه فناء جزئى ؟ " ..

هنا يختلف العلماء على ثلاثة مذاهب :-

اذا كانت قضية الموت لا يختلف العقلاء فيها سواء أكانوا مؤمنين أو غير مؤمنين ، لأنها واقعة لا جدال فيها ، فانهم قد اختلفوا فيما يترتب على الموت فى فناء المخلوقات على مذاهب ثلاثة :-

١ - مذهب أهل السنة ٠

٢ - مذهب الفلاسفة ٠

٣ - مذهب الدهريين أو الماديين ٠

نرى مذهب أهل السنة يقوم على الفناء الذى يعقب الموت : انما هو فناء لكل أجزاء الميت بحيث لا يبقى منها شيء ، ودليلهم قول الله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (١).

وبناء على مذهب أهل السنة أن المادة بجميع خواصها وأجزائها فانية ٠٠ واستدلوا أيضا بقول الله تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " الا ما استثنى مثل عجب الذنب أو الروح (٢) فان فناء الكل يشمل فناء الجزء ومنه عجب الذنب

(١) سورة الرحمن آية ٢٦ : ٢٧ ٠ (٢) المحصل للرازى ص ٢٣٥ ٠

رأى الفلاسفة :-

أما اذا ذهبنا الى فريق الفلاسفة نراهم يفسرون المراد بالفناء بأنه اختلال النظام والهيئة التي عليها المخلوقات ، بناء على أن الخلق لا يكون عن عدم وانما الخلق عبارة عن التسوية والتقدير والتنظيم للمادة التي منها صور محسوسات

وعناصر المادة التي هي أصل المخلوقات أربعة : الماء والهواء والتراب والنار وبناء على رأى الفلاسفة : أن المادة قديمة وباقية لا يفنى ٠

والفناء الذى يعتريها ، هو تفريقها الى أجزاء ، واختلال الهيئة والنظام التى كانت عليها ٠

ولكن لنا هنا وقفة ضد الفلاسفة فى قولهم بأن المادة قديمة لأنه لا قديم الا الله أما المادة فهى مخلوقة وموجودة بعد أن لم تكن موجودة أوجدها الله من عدم بقدرته وارادته المطلقة قال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) ٠

وقد [illegible] في الأثر أن الله تعالى كان قبل كل شيء وكائن ، وسيكون ، بعد هلاك كل شيء " كان الله ولا شيء معه " وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكان عرشه على الماء " .

مذهب الدهريين :-

أما مذهب الدهريين : فيفسر الفناء بأنه للأشخاص فقط والنوع أبدى لا يفنى ، فالأرحام تدفع الأرض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر . هذه هي مقولتهم المشهورة عنهم بل هي عقيدتهم لا يؤمنون الا بالمادة فقط ولا يؤمنون بشيء [illegible] المادة .

ومن ثم كان مذهبهم مبنى على عدم الايمان بالله ولا باليوم الآخر . فالدهر هو المحي والمميت عندهم ، فهو الذى يهب الحياة وهو الذى يسلبها . وهذا المذهب نراه متفشيا وممتدا فى الشيوعية ، فالمادة عندهم هى صاحبة الشأن فى كل شيء وهى السيد المطاع والاله المعبود عندهم .

ونراهم يعبدون قوى الطبيعة ويهتمون بهـا ويجعلوها أساس الأخلاق والفضائل والسعادة .

وبذلك نراهم ينكرون كل القيم الروحية وينكرون الالوهية ولا يعترفون الا بالمادة فقط . بئس المذهب مذهبهم فهم كفار دهريون . (١)

ويرد عليهم بأن فى هذا العالم والكون نظاما بديعا وصنعا عجيبا حتى يمكن وضع أسئلة مثل من أوجد هذا العالم ؟ .. ومن وضع هذا النظام البديع ؟ .. ومن صنع هذا الكون وما فيه من تعقيدات على هذا الطراز العجيب . ؟؟؟

ان المتأمل فى هذا الكون وما عليه من نظام واتقان وجمال لا بد أن يدرك بثاقب عقله ورجاحة فكره أن لهذا الكون منظما وصانعا ومدبرا .

وهذا الصانع والمنظم له من القدرة ماهو فوق المستوى العقلى للانسان . ان صنع الله الذى أتقن كل

(١) انظر الجوهرة بتصرف .

شيء ، انه نظام البديع للسموات والأرض وما بينهما من مخلوقات " تبارك الله أحسن الخالقين .

وبذلك يكون مذهب الدهرية ظاهر البطلان بداهة مثل مذهب الفلاسفة وأما الحق والصحيح فهو مذهب أهل السنة القائم على الايمان بأن الخالق لهذه الكائنات والفاني لها هو الله تعالى " وهو الذي يحيي ويميت وهو الباقي وحده . وهو الأول والآخر والظاهر [illegible] وهو بكل شيء عليم .

اختلاف الفرق في البحث عن طريق القتل :-

اذا كان لكل أجل كتاب - كما علمنا وبينا - وأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذى قسم الآجال كما قسم الأرزاق بين العباد .

فما الحكم اذا أصيب شخص في حادثة ما وأزهقت روحه أو قتله شخص ومات هل مات بانقضاء أجله أم مات قبل انقضاء أجله ؟ ..

بمعنى أنه لو ترك بدون القتل لعاش الى أن ينتهى بالموت ؟؟

كل هذه الأسئلة وردت وحار في شأنها العقل البشرى واذا عرضناها على الفرق الاسلامية سنجد فيها اختلافات عديدة وتنحصر فيما يلى :-

١ - مذهب أهل السنة .

٢ - مذهب جمهور المعتزلة .

٣ - مذهب الكعبى وهو معتزلى أيضا .

واذا ذهبنا الى مذهب أهل السنة نراهم يرون أن الأجل واحد لا يقبل الزيادة ولا النقص ، فما قدره الله للشخص من الأجل فلابد منه . (١)

وبناء على هذا الرأى لأهل السنة : — أن المقتول ميت بانقضاء أجله المقدر له . فعند القتل جاء أجله المقدر له أزلا فى علم الله ولا دخل للقاتل فى هذا الأجل وتحديده . فلو لم يقتل المقتول لجاز أن يموت فى ذلك الوقت أولا يموت حسب مافى علم الله ، لأنه لا اطلاع لنا على مافى علمه سبحانه وتعالى .. وقد ظهر بالقتل أن عمره قد انقضى عند ذلك الحد .

---

(١) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٧٧ .

أدلة أهل السنة :-

أما اذا أردنا أن نذكر أدلة أهل السنة هنا نرى لهم أدلة عقلية وردت فى هذا الشأن ، وأدلة نقلية أيضا .

فمن الأدلة العقلية نراهم نظموها على هيئة قياس منطقى منسق ومنظم فقالوا فى المقدمة الأولى :

* العبد قد حكم الله بأجله على ماعلم من غير تردد - مقدمة أولى صغرى وكل من حكم الله بأجله على ما علم من غير تردد ميت بانقضاء أجله وهذه مقدمة كبرى .

* والنتيجة تكون بعد حذف الحد المكرر من شكل هذا القياس تكون : العبد ميت بانقضاء أجله .

هذا هو الدليل العقلى الذى يعد فى شكل قياس منطقى كون عن مقدمتين تتلوهما نتيجة :-

أما الدليل النقلى قول الحق تبارك " فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (١)

(١) سورة النحل آية ٦١ .

وقوله تعالى " ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون "(١) وقوله تعالى " ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون "

ومن السنة النبوية المطهرة أيضا لهم أدلة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى " ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفى أجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فان ما عند الله لا ينال بمعاصيه ".(٢)

ولكن لا يخلو مذهب أهل السنة من الاعتراضات الواردة فى هذا الشأن وملخصها كالاتى :-

الاعتراض الأول :- جاء بهذه الصيغة أنه اذا لم يكن للقاتل مدخل فى انقضاء أجل المقتول فلم وجب القصاص منه قال الله تعالى " ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب "؟

(١) سورة نوح آية ٤ .
(٢) رواه ابن حبان .

ان وجوب القصاص من القاتل دليل على تأثيره ومدخليته في أجل المقتول بالتقديم عن الأجل الذى قدر له عن طريق الموت عند حلوله ؟؟ ولكن يرد على هذا الاعتراض بأن القصاص وجب على الكسب (وهو مقارنة قدرة العبد لقدرة الله عند الفعل) لا على قطع الأجل ، فان قطع الأجل من عمل الله الذى بيده مصير العباد لا من عمل القاتل .

ويرى أهل السنة : أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت ، وأن لا يموت فيه لأنه لا اطلاع لنا على ما في علم الله ، فيحتمل أنه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت ان لم يكن عمره في علم الله أكثر من ذلك ويحتمل أن لا يموت فيه ان كان عمره في علم الله أكثر من ذلك وهذا التجويز ذاتي على فرض عدم قتله ، كما هو ظاهر والا فقد بان بقتله أن الله علم موته في ذلك الوقت فلا يتخلف . (١)

الاعتراض الثاني :-

نصه أن الأحاديث قد وردت بزيادة العمر

(١) انظر شرح البيجورى على جوهرة التوحيد .

بالنسبة للطاعات ، فالطاعات كصلة الرحم وبــر الوالديــن تزيــد فى العمــر .

الرد على هذا الاعتراض جاء على ثلاثة وجوه :ــ

الأول :ــ يقطع الطريق على هذا الاعتراض بالقول بــأن هــذه الأحاديث الواردة فى هــذا الشــأن هى أحاديث آحــاد والمعروف أن [illegible] الآحاد لا يعول عليها فى اثبات العقائــد أو دفع شبــه المعارضيــن لهــا .

الثانى :ــ وعلى فرض أنها أحاديث متواترة تفسر الزيــادة بالخيــر والبركــة أى أن الانسان الــذى يعمل الطاعــات يبارك الله له فى عمره ويعطيــه الخير الكثيــر فى فترة حياته .

الثالث :ــ اذا فرضنا أن الزيادة حقيقتــه فى العمر ، فانها تفســر بالنسبــة لما ثبت فى صحف الملائكة الكاتبين (وان عليكم لحافظيــن كراما كاتبيــن يعلمون ماتفعلــون) (١) وقولــه : (فى صحف مكرمــة مرفوعــة مطهــرة بأيــدى سفرة كرام بررة) (٢)

---

(١) سورة الانفطار آية ١٠ : ١٢ .
(٢) سورة عبس آية ١٣ : ١٦ .

يقول شيخ الاسلام - ابراهيم البيجورى - فى تفسير هذا المعنى " فقد يثبت الشيء فيها مطلقا وهو فى علم الله مقيد " .

كأن يكون فى صحف الملائكة أن عمر زيد خمسون مثلا مطلقا فى علم الملائكة أى (فى الصحف التى هى معهم) ولكنه فى علم الله مقيد بأن لا يفعل كذا من الطاعات وان فعلها فله ستون سنة . فان سبق فى علمه تعالى أنه يفعلها فلا يختلف عن فعلها ، وكان عمره ستين ، فالزيادة بحسب الظاهر على مافى صحف الملائكة والا فلابد من تحقيق مافى علمه ، كما يشير له قوله تعالى " يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .

أى أصل اللوح المحفوظ وهو علمه تعالى الذى لا محو فيه ولا اثبات ، وأما اللوح المحفوظ فالحق قبول مافيه للمحو والاثبات كصحف الملائكة .

. . . .

الاعتراض الثالث :ـ

ليس في قول الله تعالى (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) مايصلح دليلا لموطن الاستدلال في هذه القضية وذلك للاسباب الآتية :ـ

١ ـ لأن هذه الآية مصدرة بالأمة ولا يلزم من تعيين الأجل لكل أمة تعيينه لكل فرد من أفرادها . لأن آجال الأمم غير آجال الأفراد . فالأمم لفظ أعم والافراد أخص ولا يلزم من اثبات الأعم اثبات الأخص فيصح أن تكون آجال الأمم لا نقص فيها ولا زيادة ومع ذلك يجوز أن يكون النقص في آجال الأفراد لأنه لا تلازم بينهما .

٢ ـ ويقال بأن الآية في عمومها شاملة للامة من حيث هي ولأفرادها فردا فردا فتصلح لموطن الاستدلال .

لأن الآية في عمومها تريد أن تقول لنا ان لكل أمة أجلا تحياه لتفنى بعده وتحل أمة أخرى وهكذا الى يوم القيامة .. وكذا كل فرد من أفراد هذه الأمة له أجل لايتقدم ولا يتأخر .

٣ - ولئن سلم فرضا أن هذه الآية وما ماثلها في آجال الأفراد فهي لا تدل مذهب أهل السنة على عدم زيادة الآجال أو نقصانها ، بل يجوز أن يكون الأجل المذكور فيها هو الأجل الثابت وهذا لا يمنع من الزيادة والنقصان في الأجل المعلق . والأجل هو الوقت الذي تبطل فيه الحياة بلا تقدم ولا تأخر . (١)

٤ - ان هذه الآية (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ومعارضة لقوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) حيث تدل هذه الآية الأخيرة على تعدد الأجل . لأن النكرة اذا أعيدت نكرة تكون الثانية غير الأولى .

اذن هما أجلان لا أجل واحد ، فكلمة (أجلا) غير كلمة (أجل) وأن النكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى كما جاء في قول الله تعالى : " انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول

---

(١) العقائد النسفية ص ٦٩ .

فأخذناه أخذا وبيلا" (١)

فالآيتان الكريمتان جمعتا بين النكرة والنكرة وهي كلمة رسولا الأولى وكلمة رسولا الثانية وهما نكرتان .

فالنكرة هنا أعيدت نكرة وكانت الثانية منهما غير الأولى . فالرسول المرسل الينا (صلى الله عليه وسلم) (محمد) غير الرسول المرسل الى فرعون .هو موسى عليه السلام .

وأيضا جمعت الآية بين النكرة والمعرفة في قول الله تعالى " الى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول "

فهنا "كلمة : رسولا " الأولى نكرة أعيدت هي نفسها معرفة (الرسول) فالنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى . فهنا الرسول المرسل الى فرعون هو الرسول الذى عصاه فرعون .

ولكن هذه الشبهة تدفع بأن الأجل الذى قضاه الله تعالى هو أجل الدنيا وأما الأجل المسمى هو أجل الآخرة

(١) سورة المزمل آية : ١٥ ، ١٦ .

ولا حاجة لنا في الدخول بين النكرة اذا أعيدت نكرة لأن في ذلك اقحام للعقل البشري وخاصة في محاولة الوقوف على المدلول الأولى والأخيرة لمعاني القرآن الكريم . وذلك لا تجاوزه وينبغي علينا التسليم بما جاء في ظاهر النصوص وما جاء به الرسول الأول . " ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون "

على ضوء هذه الآية يدين مذهب أهل الحق (أهل السنة) وهذا دليل واضح على أن الأجل يشمل الأمم والأفراد . ولم يكن هناك آجال الأمم غير آجال الأفراد .

أما اذا ذهبنا الى جمهور المعتزلة فماذا نجد في جعبتهم من رأي ؟؟ :-

نرى مذهب المعتزلة : يرون أن المقتول يموت بغير أجله ، وذلك لأن القتل غير الموت ، والمقتول له أجل واحد هو الوقت الذي حدد الله موته فيه لو لم يقتل ، فالقاتل قطع على المقتول أجله ، وأن القتيل لو لم يقتل لعاش الى أجله قطعا ..

ونراهم استدلوا على ذلك بأدلة عقلية وأخرى نقلية ...

أما الأدلة العقلية : فقد قالوا : لو كان المقتول ميتا بأجله لما استحق القاتل ذما ولا لوما ولا قصاصا ولا دية ولا عقابا . لكن عدم استحقاقه ماذكر باطل بنص القرآن والسنة والاجماع . قال تعالى " ولكم فى القصاص حياة " . وقوله : " ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها " .

اذن : فما أدى اليه من كونه مقتولا بأجله باطل ، وبذلك يثبت نقيضه وهو أنه مقتول بغير أجله وهو المطلوب .

والأدلة النقلية منها قول الحق سبحانه " وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير " (١) .

ثم نراهم يستشهدون بالأحاديث النبوية التى تبين أن بعض الطاعات تزيد فى عمر الانسان ووجه استدلالهم بهذه الأحاديث : أن مايقبل الزيادة يقبل النقص فالعمر الذى يقبل الزيادة بعمل الصالحات يقبل النقص بعمل السيئات .

---

(١) سورة فاطر آية ١١ .

رأى الكعبى المعتزلى فى هذه المسألة :-

يرى الكعبى أن المقتول ليس بميت لأن القتل من فعل العبد أما الموت فهو فعل الله تعالى واستدل على مدعاه بقوله تعالى " ولئن متم أو قتلتم لا الى الله تحشرون ".(١)

وقوله تعالى " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ". (٢)

ووجهة نظر الكعبى هنا : أن العطف بالواو يقتضى المغايرة فى قوله " متم أو قتلتم " وفى قوله " أفإن مات أو قتل ".

فعند الكلبى أن الانسان له أجلان : أجل بالقتل وأجل بالموت وعليه فلو لم يقتل لم اصل حياته الى أجله

(١) سورة آل عمران آية ١٥٨ (٢) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

بالموت فيكون القتل هنا من فعل العبد والموت من فعل الله سبحانه وتعالى .

وقد ورد أهل السنة على رأى الكعبى بقولهم ان أجل الانسان واحد لا يتعدد فاذا هان الأجل فانه ينتهى سواء بالقتل أو الموت .

أما ما استدل به من الآيات التى ذكر فيها عطف القتل على الموت بحجة أن العطف بالواو يقتضى المغايرة فيكون الموت شىء والقتل شىء آخر . فيقولون : ولئن متم من غير سبب أو قتلتم بأن متم بسبب . (١)

والمعنى : ولئن متم أى : انتهت آجالكم بدون سبب أو قتلتم أى انتهت آجالكم بسبب .

فالمراد بالموت فى الآية موت خاص . وهو حتف الأنف — ولا شك — أنه يندرج مع القتل تحت مطلق الموت اندراج النوع تحت الجنس فكأن الموت بالقتل : نوع ومطلق الموت : جنس

(١) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٧٨ .

فالأجناس أعم من الأنواع مثل حيوان وانسان فالحيوان جنس وهو عام والانسان نوع خاص وبناء على القاعدة المنطقية أن الأنواع تندرج تحت الأجناس وأما رأى أبى الهذيل العلاف - ومع أنه من المعتزلة - فانه قريب الى أهل السنة من حيث المذهب .

فهو يتفق مع أهل السنة فى أن المقتول ميت بأجله ولكنه يخالفه فى أن المقتول ، لو لم يقتل لمات قطعا .

حيث يرى أهل السنة : انه لو لم يقتل لجاز أن يموت فى ذلك الوقت وأن لا يموت حسب ما يقتضيه علم الله - تعالى - لأنه لا اطلاع لنا على ما فى علمه سبحانه وتعالى .

دليل أبو الهذيل العلاف : " أنه لو لم يمت المقتول فى اللحظة التى قتل فيها لكان القاتل قاطعا لأجل قدرة الله تعالى - فى علمه فيتخلف المعلوم عن علم الله وذلك محال .

وقد رد أهل السنة هذا الدليل بقولهم " بأنه لا يلزم تخلف العلم لأن عدم القتل المفروض

انما يتصور على تقدير علم الله عدم قتله ، فاذا لم يقتل لم يكون الله فى هذه الحالة علم عدم قتله .(١)

وبناء على هذا لا يلزم المحال ، وانما المحال يلزم لو علم الله قتله ولم يحصل القتل أو علم الله أن أجله يوم كذا قطعا ، ومات قبل ذلك الأجل أو بعده .

وأن المتأمل فى أدلة أهل السنة والمعتزلة يجد أنها تتلاقى فى بعض النقاط وتتنافر فى البعض الآخر . فالنقاط التى فيها أوجه التلاقى وأوجه التنافر هى : كالاتى بيانه :-

١ - هل القتل هو الموت ؟

٢ - هل أجل الموت هو نفس أجل القتل ؟

٣ - هل القتل قطع للاجل ؟

٤ - هل القتل فعل الله أن فعل العبد ؟

فما هى مواطن التلاقى ومواطن التنافر من هذه النقاط .. ؟؟؟

---

(١) راجع العقيدة الاسلامية فى ضوء النقل والعقل والقلب د / عبد السلام محمد عبده .

نبدأ بالسؤال الأول : هل القتل هو الموت ؟

يلتقى أهل السنة وأبو الهذيل من المعتزلة على القتل هو نهاية المطاف للاجل الذى قدرة الله تعالى للعباد ، فلو لم يقتل لمات فى ذلك الحين ، فالموت والقتل هما نهاية الحياة لكل انسان وهما يندرجان تحت الموت المطلق أى بسبب كان أو بلا سبب اندراج الانواع كما قلنا فيما سبق تحت الجنس الواحد .

ماعدا الكعبى من المعتزلة فهو الذى قال ان الموت غير القتل ، فهما متغايران لما ذكر من أن العطف بالواو يقتضى المغايرة .

ثانيا : السؤال الثانى " هل أجل الموت هو أجل القتل ؟

يلتقى أهل السنة مع أبى الهذيل العلاف المعتزلى فى أن أجل الموت هو أجل نفس القتل ، فالأجل واحد كتبه الله تعالى وقدره على العباد وجميع مخلوقاته .

ومعارضهم فى ذلك جمهور المعتزلة والكعبى حيث يرون أن للموت أجلا وللقتل أجلا آخر ، وأن للمقتول أجلين .

أما السؤال الثالث : هل القتل قطع الأجل ، بحيث لو لم يقتل المقتول لامتد به أجله الى الموت أم أنه لا يقطع أم أن هذا مفوض أمره لعلم الله تعالى ؟ .

يلتقى أهل السنة مع جمهور المعتزلة والكعبى فى أن القتل لا يقطع الأجل فالأجل مقدر من لدن الله – تعالى – فالقتيل لو لم يقتل لجاز عليه الموت كما تجوز له الحياة فأمره مفوض لله تعالى .

ماعدا أبا الهذيل العلاف قال " أنه لو لم قد يقتل لمات قطعا لأن أجله واحد فان لم ينتهى بالقتل فلابد أن ينتهى بالموت .

أما السؤال الأخير : هل القتل فعل الله أم فعل العبد ؟؟

ينفرد أهل السنة بالقول بأن القتل فعل الله وللعبد فيه كسب فقط ، حيث هو مناط الثواب والعقاب .

الروح وجهود الانسان في البحث عنها :-

لقد بحث الانسان الروح الانسانية منذ خلقه في هذا الكون وتناول البحث في جوانبها المتعددة : ماهيتها وجوهرها وهل هي قديمة أو حادثة ... الى آخر هذه الأسئلة حتى استنفذت الانسانية الحل الأعظم من عمرها وهي دائبة البحث والتفتيش عن الروح دون أن تظفر بشيء عن حقيقتها وتخبط الفلاسفة هنا وهناك في البحث عنها كي يصلوا الى شيء يفيد البحث عن جوهرها ولكن كل الذي قالوه لا يعدو أن يكون وهما وخيالات وضربا من الظنون التي تغني عن الحق شيئا .

الى أن جاء الاسلام برسالته الخاصة ليقول كلمته في حقيقة الروح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " بذلك أرشد الاسلام الانسانية وأخبرهم أن الروح سر من أسرار الله تعالى ... واذا كانت الروح - من جهة الوقوف على ادراكها - فوق مستوى البشر أو العقل

البشرى لماذا نضيع وقتنا هباء بالبحث عنها ؟

اذا أردنا أن ندلى بجواب يطمئن اليه نقول : أنه يمكن ارجاع الأسباب التى حدت بالانسانية للبحث عن الروح الى عاملين : -

العامل الأول : - احساس الانسان منذ وجوده بوجود قوة داخل كيانه متحررة من قيود الزمان والمكان دائبة العمل سواء كان مستيقظا أم نائما تنقل الى نفسه الرؤيا والأحلام والخيالات ، وتعيد اليه ذكريات الماضى بكل ما يحتويه من آمال وآلام .

فتاقت نفسه لمعرفة هذا الشىء الخفى كما هى عادة أى نفس تحاول أن تسأل وتبحث عن السر الذى يحمل حياتها .

العامل الثانى : - كراهية الانسان للعدم وبغضه للفناء - فناء روحه التى ألف صحبتها واطمأن اليها وحبه للخلود والبقاء الأبدى . لأن الانسان

شاهد وأبصر بنفسه وعقله أن الموت يطوى الأحياء طى الفؤاد للسر الدفين ، وتأكد أن هذا المصير الذى صار اليه آباؤه وأجداده ينتظره ، وأن أغفله اليوم فلن يغفله غدا ، فدفعه حب البقاء وشدة حرصه على ذاته الى البحث عن هذا السر الذى فى بقاؤه وفى فنائه فناؤه فبدأ يفكر فى البحث عن الروح والوقوف على أمرها . وهذا وحب الخلود كان منذ بداية الحياة على سبيل المثال " كان نقطة الضعف التى أحسها ابليس فى آدم عليه السلام هى حب آدم للخلود حيث دخل ابليس منها الى قلبه فأغواه وقاده الى العصيان فأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها أو عن الأكل منها .. قال تعالى " فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى "(١) وكان هذا الأكل سببا فى طرده من الجنة .

---

(١) سورة طه : آية ١٢٠ ، ١٢١ .

ومنا هنا نفسهم أن غريزة حب البقاء هي العامل الأساسي في دفع الانسان الى البحث عن حقيقة هذا اللغز الدفين الذي فيه سر الحياة ٠

ولا شك أن قضية الروح من القضايا التي تحيرت دونها العقول ٠ فلماذا لا يحل الرسل لأقوامهم مايريح نفوسهم من هذه القضية ٠ ؟

لا شك أن هناك حكما خفيا وسرا كامنا وراء عدم بنيان الرسل حقيقة الروح ٠تلك القضية الكبرى التي حيرت العقل البشري منذ وجوده فما هي الحكمة ٠ اذن : ؟

١ ـ يرى بعض الباحثين أن الحكمة تتضح في اظهار عجز الانسان ٠ وبيان ضعفه أمام قدرة خالقه وجهله أمام الله ـ قطعا لغروره وحدا لطغيانه ٠ حيث انه لم يعلم حقيقة روحه التي هي جزء منه ٠ بل التي هي سر حياته ونفسه التي بين جنبيه حيث يجهل الوقوف على معرفتها ٠

٢ ـ لم تتحدث الرسالات الالهية عن حقيقة الروح وماهيته • ولم تقل فيها كلمة الفصل • ولو قالت فيها الكلمة الفاصلة لا نطوت على أسرار ودقائق لا تتسع عقول البشر لادراكها • وهب أن عقول الخاصة من البشر استطاعت ادراكها فان عقول العامة والسذج لتعجز عن ادراكها يقول أبو حامد الغزالى " وذلك ـ أى أمر الروح ـ لم يبنيه الرسل ـ سوا الله أعلم ـ لأن كلام غيرهم بين أن يقبل أو يرد ويصدق أو يكذب • وكلام الرسل ـ عليهم السلام ـ ليس كذلك •

فان المسألة فى منتهى الغموض وأذهان أكثرها ضعيفة فربما لم تفهم مقاصدهم • (١)

فان كلام الغزالى ينطوى على دقائق فحواها أن الرسل جميعا لم يبحثوا فيما بحثوا به عن حقيقة الروح وبيان ماهيتها •

---

(١) الغزالى : معراج السالكين ص ٢٧ •

ومن ثم يدرك بوضوح أن رسالات السماء أغفلت ذكــر حقيقــة الروح لأن عقول البشر لم تؤهل لادراكها وادراك ما فيها من حكم وأسرار فيكون في وجوب الايمان بأسرارها ، ودقائقها تكليف بما لا يطاق ، فاغفال ذكرها من رحمة الله تعالى بعباده .

خلاف الباحثين في البحث عن الروح :-

اختلف الباحثون في جواز البحث عن حقيقة الروح وعدم جوازه . ويرجع هذا الاختلاف الى الاختلاف في فهم المراد من قوله تعالى في صدر الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن الروح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا " (١)

فقد فهم بعض العلماء أن في هذه الآية مايصرف المسلمين عن الخوض في البحث عن حقيقة الروح ، لأنها غيب استأثر الله تعالى بعلمه . (٢)

---

(١) سورة النساء آية ٨٥ .
(٢) هادي الأرواح ص ١٣ ، ١٤ تأليف مصطفى الطير .

وفهم آخرون : أنه ليس في الآية ذلك الفهم الذى تأوله الفريق الأول . وقالوا : ليس فيها مايشير من قريب ولا من بعيد الى تحريم البحث في الروح أو كراهيته ، وانما فيها مايحث على البحث لكونها نوع من العلم الذى دعا الدين الحقيقى للبحث عنه ، ثم قالوا : ان في تذييل الآية مايشير الى ذلك وذلك في قوله " وما أوتيتم من العلم الا قليلا " .

وبناء على هذا الخلاف انقسم العلماء الى ثلاثة أقسام :-

١ - مذهب جمهور المحققين .

٢ - مذهب الجنيد .

٣ - مذهب امام الحرمين وبعض المالكية والمعتزلة .

فذهب جمهور المحققين من العلماء ومنهم ابن العباس والسلف الصالح كل هؤلاء يرون الامساك عن الخوض في حقيقة الروح لأنه مكروه ودليلهم على ذلك : " أنه لم يرد نص من الله تعالى ببيانها وكل ماكان كذلك فالأولى عدم الخوض فيه .

اذن النتيجة فالخوض فيه مخالف للأولى ·

وبيان هذا أن الروح والنفس والعقل من أمور عالم الغيب أو من وراء الطبيعة ، فطريق البحث فى حقيقتها أمر مرده الى الوحى الالهى فمن العسير على العقل البشرى أن يقحم نفسه فى البحث عن حقيقتها لأنها فوق مستواه ·

والقرآن الكريم حين تحدث عن الروح وعن النفس والعقل أيضاه تراه لم يتعرض لبيان حقيقتها وانما تحدث عن آثارهما وفوائد كل منهما ·

واغفال القرآن الكريم لذكر حقيقة الروح دعوة صريحة للكف عن البحث فى حقيقتها فينبغى اذا أن لا نقحم العقل البشرى فيما هو فوق مستواه حتى لا يضل الطريق ويصبح عاجزا عن أداء وظيفته فيما خلق له ·

٢ - مذهب الجنيد : يتلخص فى القول بالامساك عن الخوض فى حقيقتها فالخوض فى حقيقتها حرام · (١)

(١) راجع تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٦ ·

دليله أن قوله تعالى - مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

ما يدل على أنها شيء استأثر الله - تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه .

فلا يجوز لعباده البحث عنها بأنها أكثر من أنها موجودة فمن حاول البحث فيما وراء وجودها كالبحث عن حقيقتها . فقد ارتكب ما يخالف النص الصريح وهذا يؤدي الى الحرمة .

وهذا الرأي والذي قبله مرجوحان .

والذي عليه التعويل ويصح الأخذ به ويعتبر راجحا هو رأي بعض المالكية والمعتزلة وإمام الحرمين والعز بن عبد السلام حيث اتفقوا جميعا على جواز البحث عن حقيقة الروح .

واستدلوا بأن البحث عن حقيقة الروح من باب التفكر في خلق الله فهي مخلوق من مخلوقات الله - تعالى الدالة على

قدرته وعظمته . والتفكير فى مخلوقات الله تعالى أمر دعى اليه القرآن الكريم وحث عليه فى كثير من آياته . قال الله تعالى : " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب" (١)

وقال تعالى : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" . وقوله " وفى أنفسكم أفلا تبصرون" (٢) .... الخ ..

ثم حاولوا الرد على القائلين بعدم جواز البحث عن حقيقة الروح بما يلى :-

١ - أما استدلالهم بأن الشارع لم ينص على حقيقتها ، واكتفى بذكر آثارها فمردود بأن الشارع لم ينص على حقيقتها صراحة ، لأن معرفة ذلك ليس مما يتوقف عليه الايمان ولا صحة العبادة ، فهى كأعضاء الجسم المادية يستخدمها الشارع الحكيم فى الاستدلال على

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٩ .

(٢) سورة الذاريات آية ٢١ .

الخالق المبدع .

٢ ـ وما استدلوا به من قوله تعالى : " ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " .

ثم قولهم تعقيبا على ذلك ان هذا يدل على أن الروح شيء استأثر الله بعلمه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أن الروح موجودة فقط وهذا الرأى مردود عليه بما يلى :

يقول الامام الرازى : ان سبب نزول هذه الآية " هو أن اليهود قالوا لكفار قريش اسألوا محمدا عن ثلاث فان أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي .. اسألوه عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين وعن الروح . فسألوه : صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة فقال عليه الصلاة والسلام غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله ، فانقطع عنه الوحى أربعين يوما . ثم نزل الوحى بعد ذلك بقوله " ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله " .

ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ، وأبهم قصة الروح ونزل فيها قول الحق تعالى " ويسئلونك

عن الروح قل الروح من أمر ربى ".

التعريفات الواردة فى شأن الروح :-

١ - يقول امام الحرمين فى تعريفه للروح : جسم لطيف شفاف حى لذاته مختلط بالجسم كاختلاط الماء بالعود الأخضر ، بمعنى أنها سارية فى جميع البدن بحيث لا يخلو جزء من البدن من الروح ، وليس لها مكان مخصوص من البدن . بل هى منتشرة فيه كله هذا هو رأى امام الحرمين . بينما يرى غيرة أن مقرها القلب أو مكان قريب من القلب أو فى البطن.(١)

٢ - تعريف المعتزلة : انها أى الروح جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق تدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه فليست جسما ولا عرضا .(٢)

أود أن أشير هنا بأن تعريف المعتزلة للروح هو تعريفه عند الفلاسفة وهو ما سيأتى بيانه وان دل فانما يدل على

---

(١) شرح الجوهرة صـ ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢) محصل أفكار المتقدمين للرازى صـ ٢٢٤ .

تأثر المعتزلة بالفلاسفة وهذا الرأى للمعتزلة فى تحديد مفهوم الروح ، معتبر متناقضا لا يقبله عاقل لأن الروح اذا كانت خارج البدن وفى نفس الوقت ليست داخله ، أين تكون ؟ وما علاقتها بالجسم ؟ وما كيفية تعلقتها به ؟ هذه الأسئلة كلها تحتاج الى ردود فالمرجو من المعتزلة أن تجيبنا عليها ؟ بالطبع لا يوجد ردود .

٣ - رأى الفقهاء من المالكية : يرون أن الروح جسم له صورته كصورة الجسد فى الشكل والهيئة حتى قال أحدهم أن الروح ذو جسم بيدين ورجلين وعينين ورأس تسل من الجسد سلا ". (١)

ولكن هذا الرأى يعترض عليه بأن الروح اذا أخذت شكل الجسم وهيئة يلزمها اذا قطع عضو من جسم الانسان قطع نظيره من الروح . ولكن الفقهاء لا يعجزوا عن الرد على هذا الاعتراض تراهم يقولون ان لطاقة الروح تقتضى سرعة انجذابها وانضمامها من ذلك العضو المقطوع قبل انفصاله .

---

(١) شرح الجوهرة .

أو أنها تلتحم على وجه السرعة بعد القطع وهذا يقتضي انقطاع الروح ثم تلتحم سريعا والأولى عدم انقطاعها لأنه يعتبر من الخوض في حقيقتها مع أن الله تعالى نهانا عن الخوض فيها حيث أمر رسوله بأن يقول قل الروح من أمر

٤ - تعريف الامام الغزالي للروح :-

يرى الامام الغزالي أن للانسان روحين :-

أ - أحدهما (بخار لطيف يعتدل باعتدال المزاج)

وهذا الروح هو الحامل لقوى الحس والحركة ، ويفنى بالموت ويتلاشى ولا يبقى منه شيئا .

ب - والتعريف الثاني أنها لطيفة ربانية مضافة الى الله تعالى في قوله " ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "

وهو جوهر بسيط غير منقسم ولا متحيز . وهو حامل الامانة التي هي المعرفة والتكليف ، وهو القلب في لسان الصوفية ، ويبقى بعد الموت لقوله تعالى " بل أحياء عند ربهم يرزقون " (١)

(١) احياء علوم الدين جـ ٣ ص ٣ وانظر المحصل ص ٢٢٩ .

٥ - تعريف الفلاسفة للروح :-

قالوا : الروح ليس بجسم ولا جسمانى يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، ومن أوصافها عندهم : أنها ليست بداخل العالم ولا خارجة ولا متصل به ولا منفصل عنه ؟

وهذا يضاهى قولهم فى تعريف الحال ، انها واسطة بين الموجود والمعدوم فلا توصف بالوجود ولا بالعدم .

وأيضا يضاهى قول واصل بن عطاء فى قوله بأن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الايمان والكفر .

فكيف يتصور العقل اجابة الفلاسفة عن الروح لا داخلة ولا خارجة ولا متصلة ولا منفصلة عن الجسم انها سفسطة فحسب؟ والرأى الذى ينبغى أن نكون عليه ونأخذ به هو ماقاله امام الحرمين عن الروح بأنه جسم لطيف شفاف حى لذاته سار فى الجسم كسريان الماء فى العود الأخضر أو مختلطة بالجسم كاختلاط الدم وجريانه فى الشرايين .

الروح والنفس :-

هل الروح هي النفس ؟ أو أنهما متمايزان بينهما فروق واضحة . هل الانسان مكون من جسد وروح ؟ أم انه مكون من جسد ونفس وروح ؟ان المتأمل في الانسان يجد أنه مكون من جسد ونفس وروح وهي مرتبة كالاتي : الجسد في المرتبة الأخيرة ويليه النفس ثم تليه الروح اذا كان الترتيب تصاعديا . أما اذا كان الترتيب تنازليا من الأعلى الى الأسفل فان الروح في القمة ثم تليها النفس ثم الجسد . فالجسد هو المكون من اللحم والعظام وما يجرى فيهما من دم ويتغذى بالطعام والشراب . والنفس " هي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهي حقيقة الانسان وذاته وتوصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها . فاذا سكنت تحت الأمر وذايلها الاضطراب بسبب معارضة - الشهوات سميت " النفس المطمئنة " وجاء وصفها بهذا اللقب في قوله - تعالى - يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية "(١)

(١) سورة الفجر آية : ٢٧ : ٢٨ .

واذا أطلق لها العنان وأجابت كل ما تاقت واشتهت سماها الصوفية بالنفس الجامعة للصفات المذمومة من الانسان ويقولون لابد من مجاهدتها . وقد استشهدوا بالحديث القائل " أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك " (١) وهى التى سماها القرآن الكريم بالنفس الأمارة بالسوء وهى التى استعاذ منها يوسف . وجاء قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام ـ أو امرأة العزيز (وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى " (١)

واذا لامت نفسها وداومت مدافعة للشهوات ومعترضة عليها ، سميت " النفس اللوامة " لأنها تلوم صاحبها عن تقصيره فى عبادة مولاه ، أو تلوم نفسها . حينما تتعدد الى الشهوات كى تشبع ظمأها وتروى أمنيتها . وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم بقوله : " ولا أقسم بالنفس اللوامة " فالنفس المطمئنة

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣ .

محمودة لأنها نفس الانسان أى : ذاته وحقيقته العالمة بالله - تعالى - وباشر المعلومات وهى التى ترجع الى الله ، وهى مطمئنة لقبولها عند الله - تعالى - وراضى عنها . وتقابلها النفس الأمارة بالسوء فانها بعيدة عن الله - تعالى - غير مقبولة عنده وهى مصدر الشرور والاثام فى الانسان ولذا كانت مذمومة عند الله وعند العقلاء أما النفس اللوامة فاذا داومت فى الاعتراض ولم يذعن لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان وكانت سدا منيعا ضد شهواتها وملذاتها التى حرمها الله فانها أيضا تكون محمودة وعند الله مقبولة فلا تذم ولا تمقت مادامت تقاوم الشهوات وما يغضب المولى عز وجل . (٢)

أما الروح ثانيا : جسم شفاف لطيف حى لذاته - كما عرفه امام الحرمين سابقا وهو قبس من روح الله سار فى الجسد كسريان الماء فى العود الأخضر وحال فى كل جزء أو عضو من أعضاء الجسد ، وبه يحيا واذا خرج من الجسد انه يموت ، فالنفس الانسانية كلما تقترب من الروح فانها

(١) احياء علوم الدين الجزء الثالث ص ٤ ط صبيح .

تصفو وتبتعد عن الماديات وبذلك لا تفعل الا الطاعات وتتصف بكل ما هو من صفات الورع والاخلاص والاحسان والرحمة والرأفة وبكل ماهو محمود عند الله . وكلما دنت النفس من الجسد واقتربت منه فانها تختلط بعالم الماديات وتحاول اشباع رغباتها من الشهوات والملذات وانغمست فيها وترتكب كل محظور فى سبيل اجباتها لمتطلباتها وبذلك ترتكب الرذائل وتتخلى عن الفضائل . ومن هنا تعرف متى تخطئ النفس وتنحرف عن سبيل الاستقامة ، ومتى تستقيم وتسير فى طريق الهداية ".

يوضح الامام الغزالى الفرق بين النفس والروح فيقول :

" فالروح هو الجارى فى العروق الضوارب فى الشرايين .

أما النفس فهو الجوهر القائم بنفسه وليس هو فى موضع ولا تحل فى شئ " . (١)

ويرى الفيلسوف " محمد اقبال " أنه لا فرق بين النفس والروح فهما عنده شيء واحد بل يذهب الى أنه لا فرق بين

---

(١) فرائد اللآلى للغزالى ص ١٣ .

بين النفس والروح فهما عنده شيء واحد بل يذهب الى أنه لا فرق بين الروح والجسد لأنهما من مادة واحدة في كيان واحد ، وانما غاية ما هنالك من الوظائف هي التي تخالف بينهما (١).

أما القرآن الكريم فانه يصور النفس على أنها الكيان الانساني ، التي يصور الشخصية في أتم صورها وبأنها انسانية جديرة ، بالتكليف والسؤال والثواب والعقاب لأنها الجانب الذي يحس ويعقل في الانسان . ولا يوهم كلامنا هذا أن النفس هي العقل الذي هو القوة الكاشفة في الانسان للاشياء ، وانما يعني أن النفس هي الكيان الانساني كله ، فهي " الذات " أو الشخصية التي تتميز بين انسان وانسان ولذلك تجد أن القرآن حينما يتكلم عن النفس ، فانه يتكلم عنها باعتبارها الجانب المهم في الانسان بها كيانه وبها شخصيته وبها بقاؤه الانساني فيقول " ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " (٢) .

---

(١) تجديد الفكر الديني في الاسلام ص ١١٥ : ١٢٠ .
(٢) سورة المائدة : آية ٣٢ .

وقال فى موطن آخر " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها "(١) وقال تعالى " ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما "(٢) وقال تعالى " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن "(٣) وقال تعالى : " يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله "(٤).

فالكيان الانسانى أو الشخصية الانسانية تتحقق الا بوجود النفس فى داخل الجسد لأنها هى المخاطبة وهى المراقبة وهى المحاسبة وعليها يقع الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة . اذن فى هذه الآيات يتحدث القرآن الكريم عن النفس على أنها الكيان الانسانى كله ...

والخلاصة أن كيان الشخصية لانسانية لا تتحقق الا بوجود النفس فى داخل الجسد لأنها هى المدركة وهى الواعية فالعقل آلة مرشدة ودليل كاشف للأشياء والنفس هى المدركة الحقيقية للأشياء والواعية لها .

---

(١) سورة الشمس ٧ : ١٠ . (٢) سورة النساء : ٢٩ .
(٣) سورة المائدة : ٤٥ . (٤) سورة الانفطار : ١٩ .

القبر وسؤال الملكين :ـ

لا ينكر أحد من الناس شريطة أن يكون سليم العقل والفكر ، أن القبر من الأمور السمعية التى يجب الايمان بها مثلها مثل الايمان بالملائكة والايمان بالحشر واللوح والقلم وكل الأمور الغيبية التى هى من الأمور المتعلقة بالعقيدة التى يلزم المكلف الايمان بها ، والقبر هو مقر الانسان الأخير فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينج فما بعده أشد . (١)

والفترة التى يقضيها الانسان بعد موته فى القبر تعتبر مرحلة انتقالية من حياتين (الحياة الدنيا والحياة الآخرة) أو هى تسمى بالحياة البرزخية التى ينتظر بعدها القيام للبعث والحشر والحساب لينتقل الى حياة الخلود الدائم ويتحدد مصيره اما الى الجنة أو الى النار .

---

(١) انظر الترغيب والترهيب : الشيخ محى الدين ص ١٥٧ .

وفى القرآن الكريم مايدل على وجود القبر قال تعالى " ثم أماته فأقبره " (١) ، وقوله " ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " (٢)

والآن نعود ونقول ماالقبر ؟؟

الجواب : " القبر هو المكان الذى يستقر فيه جسد الانسان بعد مفارقة الروح للجسد ، ولو كان جوف الوحش أو بطن الحوت أو أذرى فى الرياح .... ويشترط فى القبر المشروع أن يكون عميقا مقدار قامة الانسان متوسط الطول وأن يوسع فى مكان اللحد ، وأن يسوى فى التراب بعد دفن الجسد ولا يبنى عليه بالطوب أو بالحجارة وأن اللحد أفضل من الشق بالبناء" . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللحد هنا والشق لغيرنا " .

---

(١) سورة عبس آية ٢١ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٠ .

سؤال الملكين :-

اختلف الباحثون فيمن يسئل :-

١ - الجمهور .

٢ - مذهب ابن عبد البر .

فالجمهور : يرون أن السؤال يكون لأمة الدعوة مؤمنين ومنافقين وكفار انسا أو جنا .

وابن عبد البر : يرى أن السؤال يكون للمؤمنين والمنافقين لانتسابهم الى الاسلام فى الظاهر وأما الكافر فلا يسأل . (١)

والصحيح أن السؤال يعم الجميع مسلمين وغيرهم من المكلفين من الانس والجن أما الأطفال فانهم لا يسألون لعدم تكليفهم .

وأما الملائكة فلا ندرى عنهم شيئا من ناحية السؤال والظاهر أنهم لا يسألون وأما من لا يسأل فللعلماء

---

(١) راجع علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل ص ٥٦٧ .

فى ذلك رأيـــان :ـ

الرأى الأول : يرى أن الذين لا يسألون هم :ـ

* سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

* والأطفال والملائكة على الظاهر .

* الأنبياء وفيهم قولان والأصح أنهم يسألون عن جبريل والوحى الذى أنزل عليهم .

* الصديقون والشهداء والمرابطون فى سبيل الله والملازمون لقراءة القرآن ومريض البطن ، والميت بالطاعون والميت ليلة الجمعة أو يومها .

أما الرأى الثانى : وهو الراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالا خفيفا ..

الحكمة من السؤال :ـ

ان لكل شئ حكمة وحكمة السؤال بالنسبة للغير هى اظهار ماكتسى العباد فى الدنيا من ايمان أو كفر أو طاعة أو عصيان . فالمؤمنون الطائعون يباهى الله بهم الملائكة ،

وغيرهم يفرحون عند الملائكة .

الأدلة على سؤال القبر من القرآن والسنة : -

الدليل من القرآن : - قول الحق سبحانه " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء" (١)

فالمقصود بالتثبيت للمؤمنين فى الحياة الدنيا هو الثبات على الايمان وفى الآخرة عند سؤال الملكين . وقيل المقصود بالحياة الدنيا سؤال القبر لأنه متصل بالحياة الدنيا . وفى الآخرة . أى عند الحساب .

أما الدليل من السنة :-

عن البراء ابن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اذا قعد المؤمن فى قبره آتاه آت ثم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وسأله . " (٢)

---

(١) سورة ابراهيم آية : ٢٧ .

(٢) رواه البخارى .

نعيم القبر وصوره :-

من المعروف أن نعيم القبر يكون للمؤمنين الذين عرفوا الحق جل جلاله وعلموا لما عرفوا فآمنوا به وحسن ايمانهم وصدقوا بينه واتبعوه ونصروه ومن هنا كان للميت حين يوضع في قبره وهو من المؤمنين الموحدين صور لتعليم القبر منها :-

١ - توسيع القبر على الميت .

٢ - فتح نافذة من الجنة فيه .

٣ - تعطيره بالروائح الزكية الطيبة .

٤ - انارته لا سيما لمعلم العلم ومتعلمه ومنور المساجد فقد ورد أن الله تعالى أوحى لموسى عليه السلام تعلم العلم وعلمه للناس، فانى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم .

٥ - جعله (روضة " بستان " من رياض " بساتين " الجنة) (١)

الدليل على نعيم القبر :-

١ - من القرآن ما ورد في شأن المجاهدين الذين

---

(١) أم البراهيم الكبرى ص ٤٩٩ .

قتلوا في سبيل الله . (١) .. قال تعالى : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " .

٢ ــ من السنة ما رواه السلف الصالح من الأحاديث التي بلغت حد الاستفاضة . منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم " القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار "

عذاب القبر وصورة :ــ

عرفنا ما أعده الله لعباده المؤمنين الصالحين من نعيم في قبورهم الى أن ينفخ في الصور ليقوم الناس الى رب العالمين .

والآن نريد أن نقف على ما أعده الله للمشركين في قبورهم ... فماذا أعد لهم ؟؟ . لقد ذكرنا

---

(١) أصول الدين ص ١٩٩ للامام الرازى .

آنفا قول الرسول صلى الله عليه وسلم " القبر اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار" .

فمن هم الذين يعذبون في القبر ...؟ ومن هم الناجون .؟ وما صور هذا العذاب ؟ وهل يكون للجسد فقط ؟ أو للروح فقط ؟ أو للجسد والروح معا ؟..

أولا : ان المعذب هو الجسد والروح معا وهو القول المشهور وعليه أهل السنة .

ثانيا : يرى الطبرى وعبد الله بن كرام أن المعذب هو الجسد فقط ويخلق الله فيه ادراكا بحيث يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم .

ويدوم للكافرين والمنافقين ، وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين ، وقد يرفع عنهم بدعاء أو صدقة كما يراه ابن القيم ، مصداقا للحديث الشريف " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، وعلم ينتفع به . وكل من كان لا يسأل في قبره " لا يعذب

فيه وهؤلاء هم الناجون من عذاب القبر .

ثالثا : ان المعذب من العبد في القبر الروح فقط وهذا رأى الفلاسفة . ومن جرى على نهجهم .(١)

صور عذاب القبر :-

١ - تضييق تضييق القبر وضغطه على الميت ، فقد ورد أن الأرض تضمه حتى تختلف أضلاعه ، ولا ينجوا منها أحد عدا الأنبياء . ومن قرأ سورة الاخلاص في مرض موته .

٢ - تسليط الثعابين على الكافر في قبره لكفره بأسماء الله الحسنى . عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما أنبتت خضراء .

(١) راجع الجوهرة .

٣ - التعذيب بالنار صباحا ومساء فى القبر .

الأدلة على عذاب القبر :-

تتنوع الأدلة على اثبات عذاب القبر الى أدلة :-

١ - من القرآن .

٢ - من السنة .

فقد ورد فى عذاب آل فرعون قول الحق تبارك وتعالى :

" وحاق بآل فرعون سوء العذاب . يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " . (١)

فقال تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ،

فالغد و والعشى يقصد بهما صباحا ومساءً من خصائص الحياة الدنيا ولا يصح أن يكون المراد بهما فى الحياة الآخرة لأن الحياة الآخرة لا توصف بأن فيها صباح ومساء ، ولهذا لا يصح أن يكون عذاب آل فرعون هذا فى الحياة الآخرة ، بل هو نص فى عذاب القبر والدليل على أن المقصود بهذا

---

(١) سورة غافر آية : ٤٥ : ٤٦ .

العذاب هو عذاب القبر هو بقية الآية بعدها " ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " .

فالله تعالى وضح الفرق بين العذابين : عذاب القبر وعذاب النار فى الآخرة . ومما يؤكد هذا الفرق بين العذابين العطف بالواو والتى يقتضى الترتيب " المغايرة فى قوله : ... ويوم تقوم الساعة . فانه معطوف على ماقبله " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا . ".

ومما يدل على عذاب القبر ماورد فى حق الأقوام الذين كذبوا الرسل فى رسالاتهم وهم قوم نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط وأصحاب الأيكة" (١).

هؤلاء الأقوام لما أيقنوا بوقوع العقاب عليهم لا محالة فى الآخرة بسبب تكذيبهم لرسلهم طلبوا من الله - تعالى - أن يعجل لهم العقوبة فى القبل قبل يوم الحساب ، والمقصود به هنا يوم القيامة . قال تعالى " جند ماهنالك مهزوم

(١) أصول الدين للرازى ص ١١٩ .

من الأحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب . وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق . وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" (١)

أى أنهم قالوا : ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب قبل أن يأتى يوم القيامة ولا عذاب قبل يوم القيامة سوى عذاب القبر .

أما الأحاديث الدالة على عذاب القبر فكثيرة منها :-

حديث جابر حيث قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فأطلعه الله على حال من فيهما . فوجدهما يعذبان فقال " انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير . أحدهما : لا يستبرىء من بوله . والثانى : كان يمشى بالنميمة بين الناس " (٢)

---

(١) سورة ص الآيات ١١: ١٦ .

(٢) رواه البخارى .

ومن الأدلة على عذاب القبر أيضا الحديث السابق ذكره أكثر من مرة " القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار " .

الى غير ذلك من الأحاديث التي بلغت حد التواتر كحديث الممتنع عن دفع زكاة ماله حيث يسلط الله عليه شجاعا أقرع يضرس لهمزيته في كل وقت وآخر ويقول له أنا كنزك ، أنا مالك ".

المثبتون لعذاب القبر :ـ

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن عذاب القبر حق للكافرين ، ولبعض عصاة المؤمنين ، وأنه ثابت بالأدلة السمعية وأخبر به الصادق الأمين واتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور المخالفين فيه . (١)

ومعنى ذلك أن أهل السنة يؤمنون بعذاب القبر لورود البراهين الدالة عليه من القرآن والسنة النبوية واتفاق السلف

---

(١) عضد الدين الايجي : المواقف جـ ٨ صـ ٣١٧ .

الصالح عليه ويثبت الامام الجويني امام الحرمين عذاب القبر بطريق اللزوم نراه يقول " الذى صار اليه أهل الحق اثبات ذلك فانه من مجوزات العقول والله مقتدر على احياء الميت وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله ، وكل مايجوزه العقل وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله " (١)

ويعلل الامام الجويني الايمان بعذاب القبر بأمور ثلاثة :-

أولهم :- أن العقول تجوزه ولا ترده ، وثانيهما :- أن الله قادر على احياء الموتى وسؤالهم ، وثالثها :- ضرورة الايمان بما تؤيده شواهد السمع وتجيزه العقول السليمة ، فالايمان بعذاب القبر حق لا مرية فيه ، وبه يتميز المؤمنون بالغيب عن ينكرونه ،

ويقرر الامام الغزالي وجوب الايمان بعذاب القبر بقوله :- " عذاب القبر قد ورد الشرع به واشتهر عن رسول

---

(١) الامام الجويني : الارشاد ص ٣٧٥ ،

الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذابه ،
وهو ممكن فيجب التصديق به ".(١)

ويتابع حجة الاسلام بيان وجوب اليقين بعذاب القبر قائلا " صدق به تقليدا ، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم ، فالبحث عن تفصيل العقاب والثواب فضول وتضييع زمان ".(٢) فا ثبات الامام الغزالي لعذاب القبر مرده لأمور :-

أولها : - اقامة برهان الشرع عليه .

وثانيها :- لأنه أمر ممكن عقلا .

وثالثها :- انشغال النظر العقلي في كيفية العذاب فيه فضول وتضييع الوقت فيما لا جدوى من ورائه لأنه غيب .

---

(١) راجع احياء علوم الدين للغزالي جـ ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٩٣ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٩٣ .

المنكرون لعذاب القبر :ـ

من المنكرون لعذاب القبر ؟

وما هي الشبه التي بنوا عليها أفكارهم ؟

قبل أن نذكر صنف المنكرين لعذاب القبر ينبغي علينا التعريف بهم : هم جماعة من الملاحدة ، وجماعة من المعتزلة يقول السنوس :ـ " وقد نقل عن ضرار وبشير المريسي وجماعة من المعتزلة انكار عذاب القبر . والمسئلة فيه ورد الأرواح فيه الى الأجساد . "(١)

أما الشبه التي بنوا عليها انكارهم هي :ـ

١ ـ قالوا من مات فهو مطروح في قبره ولا يتعلق به سؤال الى يوم الحشر . ويمكن يرد هذه الشبهة على هذا النحو : " ان الحياة البرزخية التي يحياها الميت في قبره تخالف الحياة المألوفة لنا في الحياة الدنيا وقوانينها .

(١) انظر شرح البيجوري على الجوهرة .

٢ — قالوا ان اللــذة الناشئــة عن النعيم والألــم الناشـــى، عن العذاب والسؤال لا يتصــور كل ذلك بدون حياة و، وادارك ، وقد فســد الجســم وتفرقــت أجزاؤه وانتفت منه الحياة فكيـــف يتصــور أنه يــدرك ويحس ؟ ..

ويمكن الرد على هذا النحو أيضــا :ـ

" الحياة التى يحياهــا الانسان فى القبــر ليســـت حياة حقيقيــة كما قلنا بل أشبــه بحياة النائــم والسكــران وادراكــه واحساســه بقدر فهــم السؤال ورد الجواب . "

٣ — قالوا اننا نشاهــد المقتول والمطلوب والميت يبقى مدة طويلة أمامنــا دون أن نشاهــد أثر لهــذه الحياه .

وهــذه أجسام قدمــاء المصريــن محفوظــة فى المتاحــف منذ مئـــات السنين يختلف عليهــا الحراس ، ولم نسمع أن أحد هــم تحرك أو ظهرت عليه آثار هذه الحياة ثــم ان الموت قد يوضع فى مكان ضيق صلب لا يستطيع معه قعــودا ولا حركــة فكيــف يتصــور جلوســه للسؤال ؟؟ .

وهذا الذى ابتلعه الحوت أو أكلته السباع أو حرق بالنار وذرى فى الهواء فكيف يتصور سؤاله وعذابه أو نعيمه ؟؟

الجواب :- أو الرد على هذه الشبه : أن هؤلاء الملاحدة بنوا آراءهم على المادية البحتة فكل مالا يحسونه أو يدركونه بالحواس لا يؤمنون به وقاسوا حياة القبر بما فيه من سؤال ونعيم أو عذاب على الحياة فى الدنيا فهم قاسوا الغائب على الشاهد • ولم يدركوا أن هناك فارقا وبونا شاسعا بين الحياة الدنيا والحياة البرزخية فى القبر، فضلا على أن قدرة الله لا تعجز عن شىء • ونسوا أن حياة القبر فوق المألوف والعادة وفوق المستوى العقلى فضلا عن المستوى الحسى الذى بنوا عليه شبهاتهم فى انكارهم لحياة القبر •

وللامام القرطبى رد مقنع على الذى يستبعد سؤال المصلوب وحق أكلته الحيوانات .. الخ • رد فى ذلك بأربعة أدلة هى على النحو التالى :-

الأول : ان من أخبرنا بهذا هم الذين جاؤنا بالصلوات

الحس ، ولهم لنا ترى الا ما نقلوه .

الثاني : ان الله يحجب عن المكلفين ما يجرى على الأموات كما حجب عنهم رؤية الملائكة مع الأنبياء عليهم السلام ، ومن ينكر ذلك فلينكر نزول جبريل بالوحى .

الثالث : أنه لا يستبعد أن ترد الحياة الى المطلوب ، ومن تفرقت أجزاؤه ويعيده كما كان ، وثبت ذلك من حديث الرجل الذى أمر أولاده اذا مات أن يحرق ، ثم يسحق ، ويذرى فى الرياح ، فأمر الله البر والبحر فجمع ما فيه .

الرابع : أن السؤال غير مستحيل عقلا ، وليس أبعد من الذر الذى أخرجه الله من صلب آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم . (١)

ومؤدى دفع الامام القرطبى لشبهة المنكرين لعذاب القبر تقوم على أن الصادق محمد / صلى الله عليه وسلم

---

(١) راجع التذكرة : القرطبى صـ ٣٩ : ١٤١ بتصرف .

أخبر بوجوب الايمان به . وأن العقل يعجز عن ادراك كيفية الحياة في الآخرة . ويلزمه ضرورة الالتزام بهدى الأنبياء في أمور الغيب كلها " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " (١) فتدخل العقل في أحكام الغيب يدفعه الى توهم الاستقلال عن الشرع ويقحمه في دائرة التجرؤ على انكار النبوات والرسل قال تعالى " فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " (٢)

هذا وقد أجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بسؤال القبر ونعيمه .

روت السيدة عائشة رضى الله عنها - أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ... فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر ...

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ . (٢) سورة طه : ١٢٣ : ١٢٤ .

قالت عائشة رضى الله عنها - سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر . فقال : نعم عذاب القبر حتى قالت : فما رأيت رسول الله بعد صلاته الا يتعوذ من عذاب القبر . (١)

وفى نهاية المطاف لا يصح انكار مافى القبر من سؤال ونعيم وعذاب حيث ثبتت هذه الأمور عن طريق القرآن والسنة ويكون منكره كافر .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم

أمارات الساعة :-

اقتضت حكمة الله سبحانه اخفاء موعد الساعة رحمة بعباده وجعل لها أمارت وعلامات يفطن اليها من أنار الله قلبه بنور الايمان . قال تعالى " فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة . فقد جاء أشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم " (١)

وقد أخبر الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن كثير من العلامات الدالة على قرب وقوع ذلك اليوم فضلا عن اليوم نفسه . وهذه العلامات نوعان صغرى . وقد تحقق الآن كثير منها . وكبرى علم وقتها عند الله عز وجل .

العلامات الصغرى للقيامة :-

وهى علامات ودلائل كثيرة تضافت الأحاديث الصحيحة على ابرازها وأول هذه العلامات بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قال " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة .

(١) سورة محمد آية : ١٨ .

والوسطى . (١) ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وإن من أشراط الساعة أن يرفع العلم والعلم بالله "دينه" ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة رجل واحد .

وعنه رضى الله عنه أن رجلا قال ا لرسول صلى الله عليه وسلم متى الساعة . قال " اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال وكيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة ".(٢)

وهناك علامات صغرى أخرى كثيرة منها :-

اذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ..

واذا تطاول رعاة الغنم فى البنيان فذاك من أشراطها .

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج ٤ ص ١٧٧ .
(١) تفسير المنار ج ٩ ص ٣٨٧ .

وانشقاق القمر ، وشيوع المنكر فى الناس وتحدثهم عنه بمفاخرة دون خوف من الله أوحياء من الناس .. الخ ، العلامات الصغيرة التى لا حصر لها ولا عد .

العلامات الكبرى :-

من هذه العلامات : خروج الدابة . قال الله تعالى " واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " (١)

وقد اختلف العلماء فى هذه الدابة فقيل ،انها ناقة صالح ، وقيل ان هذه الدابة تكون انسانا متحدثا يناظر أهل البدع وأنها تخرج من جبل الصفا ، بمكة بعد أن يتصدع ، الى غير ذلك من الأقوال المنسوبة للصحابة والتابعين ، وقد علق الامام الألوسى بعد عرض أقوال العلماء فى الدابة قوله :-

" دابة عظيمة ذات قوائم ليست من نوع الانسان أصلا

---

(١) سورة النمل آية ٨٣ .

يخرجها الله آخر الزمان من الأرض •(١)

وأشار ابن كثير الى كلام قريب من هذا المعنى بقوله " هى دابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله فتكلم الناس "(٢)

وقدرة الله فوق الأسباب والمسببات فيجب على العقل الامساك عن الدخول فى أوصاف هذه الأمور •

ومن هذه العلامات أيضا : انزال عيسى عليه السلام داعيا • وهاديا بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم مبطلا كل المنكرات والخرافات التى ارتكبت باسمه وهو منها براء • ويقضى بذلك على " المسيحية المشوهة " ويثبت أن الدين عند الله الاسلام " •

ومن هذه العلامات " يأجوج ومأجوج " وفى ذلك قال الله تعالى " حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون •

---

(١) روح المعانى : الألوسى ج ٢ ص ٢٤ •

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٤ •

واقترب الوعد الحق ، فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ". (١)

وقيل ان يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام ، وقيل : انهم من نسل نوح عليه السلام ، والأمر بقطع نسبة يأجوج ومأجوج الى آدم عليه السلام أو نوح عليه السلام لا يعول عليه كثيرا فاشارة القرآن اليهما كافية في حقيقة علامات الساعة وأنهما من جاءوا ليفسدوا في الأرض ثم يهلكهم الله عز وجل .

وطلوع الشمس من المغرب وغروبها من الشرق من علامات الساعة أيضا لأنه بذلك يحدث تغيير في نظام الكون على خلاف ما نعهده الآن من طلوعها من المشرق .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ان أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ". (٢)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٦ ، ٩٧ .
(٢) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا " (١)

ومن علامات الساعة وأماراتها الكبرى : أن يخرج المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات ، وبما يظهر على يديه من عجائب فيفتتن به بعض الناس ويثبت الله الذين آمنوا فلا يخدعون بأضاليله ، ثم ينجلي أمره ، ويقضى على فتنته ، ويقتل بأيدى المسلمين ، وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام . (٢)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود : أى لا ينفع الايمان نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل ، ولا تنفع التوبة من المعاصى نفسا مؤمنة لم تكن كسبت خيرا في ايمانها .

(٢) السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ٢٥٣ .

وقد حذرت الرسل أممهم من فتنته وغوايته .

كما حذر منها خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فعن عمر " أن النبى صلى الله عليه وسلم استنصت (١) الناس يوم حجة الوداع فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب فى ذكره ، وقال : مابعث الله من نبى الا أنذر أمته ، وانه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم ان ربكم ليس بأعور ، وانه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية " (٢)

ومنها أيضا زلزلة الكون ومن القرآن الدال عليها . ارجع واقرأ سورة الزلزلة .

---

(١) استنصت : أى طلب سكوتهم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

البعث وأدلة امكانه :-

يقول علماء العقيدة في شرح عقيدة البعث " هو احياء الله الموتى واخراجهم من القبور بعد جمع أجزائهم الأصلية " (١).

والبعث من العقائد الأساسية التي جاءت بها الكتب السماوية جميعها ، وأكدتها في أكثر من آية منها " وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور " (٢). وقوله : " يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد " (٣) ... الخ هذه الايات الدالة على البعث.

أما الأدلة وتنوعها في القرآن الكريم الكفيلة بافادة اليقين بامكان البعث وشمول قدرة الله لاحياء الموتى ، نراها ثلاثة أنواع اهتم القرآن بها وعول عليها

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٥٢ (٢) سورة الحج آية ٧ .
(٣) سورة المجادلة آية ٦ .

كثيرا ، وهذه الأدلة هي :-

* النشأة الأولى :-

يبدأ اليوم الآخر بالبعث : وهو اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا ، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام ولا يستطيع الانسان معرفة هذه النشأة الأخرى ، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى . قال تعالى : " نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون " . (١)

وأورد القرآن أدلة كثيرة على البعث مستدلا بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبينا أن الله قادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء ، فلا تعجزه اعادة الأجسام لنفوذ قدرته ، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه . قال تعالى " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة

(١) سورة الواقعة آية ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

وهو بكل خلق عليم " (١) .. ويقول تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " . (٢)

هذا الدليل فيه من الوضوح والظهور بحيث لا يحتاج معه الى تفكير لأن من المعلوم أن الحياة من العدم هى الأصعب وقد تم فعلها الله ودليل ذلك وجودنا فى الحياة أما الحياة بعد الموت فهى أهون وأسهل لأن فيها اعادة التركيب فقط . وقدرة الله فوق هذه الأمور كلها .

* احياء الأرض بعد موتها :- من الأدلة التى احتفل بها القرآن الكريم . قال تعالى " وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير " (٣) . وقوله فى موضع آخر :

(١) سورة يس آية ٧٨ ، ٧٩ . (٢) سورة الروم آية ٢٧ .
(٣) سورة الحج آية ٥ ، ٦ .

" ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد "(١).

وقد استنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا النوع من الاستدلال القائم على المشاهدة والعيان فقد قال أبو ذر ابن العقيلي : قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آيات ذلك في خلقه ؟

فقال عليه الصلاة والسلام لي أما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال : فتلك آية الله في خلقه . كذلك يحيى الموتى .

أما الدليل الثالث : هو دليل امكان البعث المستند الى خلق السموات والأرض :-

قال تعالى " أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم . وجعل لهم أجلا لا ريب فيه . (٢)

---

(١) سورة ق آية ٩ . (٢) سورة الاسراء آية ٩٩ .

واذا كان الله لم يعيى بخلق السموات والأرض ، ولا يزال يخلق ويرزق ويحيى ويميت ، فهل يستبعد بعد هذا المشاهد المنظور أن يعيد الخلق مرة أخرى " أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد " (١).

ان انكار البعث واعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة فى الأنفس والآفاق لا معنى له ويتحتم على كل مسلم الايمان بالبعث وأنه حق لا ريب فيه وأصل من أصول الدين وركن من أركان الايمان .

---

(١) سورة ق آية ١٥ .

شبهة منكري البعث :-

لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة ، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة ، وستبعدين ذلك ، ومستعظمين أمره ، لأن عقولهم لا تكاد تصدق اعادة الحياة الى الأجسام بعد تفرقها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض ، فان الانسان بعد أن يموت يتحول جسمه الى تراب ، ثم يتحول التراب الى نبات فيتغذى انسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت .

هكذا الانسان يتحول كغيره وكذا تتداخل الأجسام بعضها في بعض . فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل ؟؟

وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تتردد في صدور الكثير ، والقرآن الكريم ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال : " وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت

ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١)

فهؤلاء الذين استنكروا البعث رد الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له • لأنهم يجهلون عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته • وأنهم لا يبصرون فى أنفسهم أدل الدلائل وأقوى الحجج على نفى ما ينكرونه من البعث • فالله أحياهم أولا وأماتهم ثانيا • ولا تزال القدرة صالحة لاحيائهم مرة • وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة • فأى استبعاد فى هذا ؟؟ ••

وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه • وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٢)

---

(١) سورة الجاثية الايات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ •
(٢) سورة الروم آية ٢٧ ، ٢٨ •

اختلاف الناس عند البعث :-

والناس يختلفون عند البعث اختلافا كبيرا حسب أعمالهم فالذين صلحت عقائدهم ، وزكت نفوسهم ، يكونون أكمل أجساما وأرواحا ، والذين خبثت أعمالهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم . قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال : ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك ". (١)

فى الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :-

" يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل ".

---

(١) حدب : الحدب ما ارتفع من الأرض . رواه الترمذى .

وروى مسلم عن جابر قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم :
يقول " يبعث كل عبد على ما مات عليه " أى ان مات على خير بعث
على حال سارة ، ومن مات على شر بعث على حال شنيعته ".

ومع كون البعث بالأجساد والأرواح الا أن القوى الروحية
تكون هى القادرة على التصرف فى الأجساد فتستطيع قطع
المسافات البعيدة فى أقصر مدة ، والتخاطب بالكلام
بين أهل الجنة والنار ، ويكون مثلهم فى ذلك مثل الملائكة والجن
فى قدرتها على التشكل وظهورها فى أجساد تأخذها
من مادة الكون. (١)

---

(٢) السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ٢٧٣ .

قضيـة المعاد والخلاف فيها :ـ

فالمعاد لغـة : العود والرجوع ، فعودة الشيء الـى ماكان عليه أولا يسمى معادا . ورجوعا الى الحال الذى كـان عليهـا فى بادئ أمره .

قال تعالى " كما بدأكم تعودون " وقال تعالى :ـ " وكما بدأنا أول خلق نعيـده وعدا علينا انا كنا فاعلين " .

وأما معناه فى الاصطلاح :ـ

فقد اختلفوا فيـه الى ثلاث فـرق :ـ

أ ـ المتكلمـون .

ب ـ الفلاسفـة .

جـ ـ المحققـون من العلماء والصوفيـة والمعتزلـة .

فالمتكلمـون يرون : انه الرجوع الى الوجـود بعـد الفنـاء .

فالمعـاد جسمانى عندهم بنـاء على أن الروح معادة .

والفلاسفـة : يقولون : " هـو عود الأرواح الى ماكانت

عليه من التجرد وعدم التعلق بالبدن. فالمعاد عندهم روحاني .

أما المحققون : فيفسرون المعاد بأنه رجوع البدن الى الاجتماع بعد التفرق ، ورجوع الأرواح الى الأبدان .

فالمعاد عندهم : جسماني وروحاني معا . والروح عندهم جوهر مجرد ، وعلى أن الجسم يعاد بعد تفرق أجزائه لا بعد انعدامه (١).

والسؤال الآن : لمن يشهد القرآن الكريم ؟ هل يشهد لرأى المتكلمين : أو لرأى الفلاسفة ؟ أو لرأى المحققين ؟ ..

الجواب : ان القرآن الكريم أقر المعاد الجسماني والروحاني .. فقد لفت أنظارنا الى أن الله - تعالى - يحى الأبدان بعد موتها لأنه عالم بجميع أجزائها على التفصيل .

---

(١) والمواقف للايجى جـ ٨ وأصول الدين للرازى ص ١١٦ ، ومناهج الأدلة ص ٢٤٠ لابن رشد .

ويعيد اليها الأرواح فقال " قل من يحي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " (١).

فاحياء العظام البالية وهي رميم لا يكون الا بجمع أجزائها واعادة الروح اليها• والا فلا معنى لأحيائها ، اذا كانت أجساد بلا روح أو أرواح بلا اجساد •

وهذا مامشى عليه المتكلمون من أهل السنة ومن تبعهم •

وقد حصر الايجي في المواقف الأقوال الممكنة في المعاد فقال : " أن الاقوال الممكنة في مسألة المعاد لا تزيد على خمسة :-

الأول :- ثبوت المعاد الجسماني فقط • بناء على الروح تأخذ هيئة و للجسم • وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة •

---

(١) سورة يس الآية ٧٨ : ٧٩ •

الثاني :- ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول : الفلاسفة الالهيين .

الثالث :- ثبوتهما معا (أى المعاد الجسماني ، والروحاني معا) .

وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد ومعمر من قدماء المعتزلة ، وجمهور من متأخري الامامية وكثير من الصوفية .

الرابع :- عدم ثبوت شيء منها . وهو قول القدماء من الفلاسفة . ..

الخامس :- التوقف في هذه الأقسام وهو المنقول عن جالينوس حيث لم يتبين لي أن النفس هل هي مزاج ؟ أى التركيب للجسم على نحو خاص ، فينعدم عند الموت فيستحيل اعادتها - أو هي جوهر باق بعد فساد فيمكن المعاد حينئذ .(١)

---

(١) المنقول عن جالينوس يدل ثبوت التوقف في المعاد الروحاني .

هذا وقد عرفنا أن القرآن الكريم أقر وأثبت المعاد الروحاني والجسماني معا كما بينا .

أما الكتب السماوية المنزلة على موسى وعيسى من التوراة والانجيل فقد جاء في التوراة مايفيد أن المعاد روحاني فقط .

أما ماجاء على السنة الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ، كحزقيل وأشعيا فقد أقروا المعاد الجسماني ، ولذلك أقرت اليهودية بالمعاد الجسماني .

وأما الانجيل فقد ذكر أن الاخيار من الناس يصيرون كالملائكة ويكون لهم الحياة الأبدية والسعادة العظيمة ... وهذا الكلام يفيد ويفهم منه أن الانجيل لا يقول الا بالمعاد الروحاني فقط . [1] هذا ماجاء عن المعاد في الكتب السماوية .. فما كيفيته ؟

— أما الجسماني فهو ينكره قطعا لأنه لا يجوز اعادة المعدوم مثل سائر الفلاسفة . انظر : المواقف ج ٨ للأيجي . وانظر : مناهج الأدلة ص ٢٤٤ : ٢٤٦ .

(١) شرح مطالع الأنظار ص ٢١٦ : ٢١٧ . ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٢٣ .

كيفية الاعادة :ـ

اختلف علماء العقيدة والفلاسفة في شأن الاعادة :ـ

* هل عن عدم محض لجميع أجزاء البدن ؟

* أم عن تفريق لأجزاء البدن فقط مع بقاء أعيانها بناء على أن المادة لا تفنى على رأى القائلين بعدم فنائها ؟ .

الجواب :ـ

ان القرآن الكريم تكلم عن النوعين للاعادة ، وأن صريح آياته دال على هذين النوعين ... الا أن دلالته على الاعادة عن عدم محض ظاهرة لكل الآيات الدالة على ذلك .

أما دلالته على الاعادة بعد التفريق للاجزاء فهى خفية وان كانت الآيات قد نصت عليها . (1)

بعد أن عرفنا رأى القرآن فى النوعين للاعادة .. فما رأى المتكلمين من أهل السنة والمعتزلة ؟ وما رأى الفلاسفة ومن تبعهم فى هذه المسألة ؟؟

---

(1) أم البراهين الكبرى ص ٤٩٢ : ٤٩٣ وانظر مناهج الأدلة ص

الجواب :-

أولا : المتكلمون (أهل السنة وبعض المعتزلة) :-

رأيهم . أدلتهم . الاعتراضات على أدلة المتكلمين . الرد عليها .

فأهل السنة وبعض المعتزلة يرون : أن الاعادة عن عدم محض لا أجزاء وأدلتهم : من النقل والعقل .

فالأدلة النقلية على أن الاعادة عن عدم محض منها :-

١ - قول الله - تعالى - " كما بدأكم تعودون " .

٢ - وقوله " كما بدأنا أول خلق نعيده "

٣ - وقوله " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى " .

والراجح أن هذه الآية تفيد الاعادة عن تفريق الأجزاء فقط بخلاف الآيتين المذكورتين قبلها .

أما الأدلة العقلية التي أقامها أهل السنة فهي : دليلان :-

١ ـ الدليل الأول :ـ

قالوا : " لو استحال اعادة المعدوم بعينه لما وجد أولا .
وليكن التالي وهو : (لما وجد أولا) باطل .
فما أدى اليه من الاستحالة باطل . فثبت نقيضها وهو
امكان الاعادة . (٢)

هذا الدليل الستثنائي مركب من قضيتين :ـ
(١) شرطية وهي الكبرى . أعنى" لو استحال اعادة المعدوم
بعينه لما وجد أولا " .
(ب) حملية وهي الصغرى (الاستثنائية) أعني : " ولكن
التالي باطل " .

وقد استوفى هذا الدليل شروطه من لزومية
الشرطية وكليتها وايجابها . أما كونها لزومية فقد دلل عليها .
وأما كليتها : فلأن " لو " تستعمل عن المناطقة بمعنى :

(١) المواقف للايجي جـ ٨

كلما ومهما وهما من السور الكلى .

وأما كونها موجبة ، فانه رتب اتصال عدم اعادة الوجود الأول على استحالة اعادة المعدوم بعينه .

دليل الملازمة : فلو استحال اعادة المعدوم ثانيا لذاته أو لشئ من لوازمه لاستحال وجود المعدوم أولا متى كانت الاستحالة ناشئة من ذات ذلك الشئ (الموجود) مثل : استحالة الشريك لله .

أو كانت الاستحالة ناشئة من لوازم الشئ مثل : استحالة وجود الشمس بالليل بدون ضوء .

فالاستحالة على كلا الأمرين لا تتخلف ، فاذا لزمت الماهية استمرت فلم تكن في وقت مستحيلة وفي وقت آخر ممكنة .

ولذلك لو استحال وجود المعدوم ثانيا من ذاته أو من لازمه لاستحال كذلك وجود المعدوم أولا وعليه تمت الملازمة . (١)

---

(١) محاضرات في مادة التوحيد ص ٢٥ : ٢٦ للشيخ صالح شرف.

موقف الخصم من هذا الدليل :-

يقول الخصم امنع هذا الدليل من جهتين :-

١- عدم تسليمه المقدمة الأولى القائلة : " لو امتحال اعادة المعدوم ثانيا لما وجد أولا ".

وهذا المنع (١) وعدم التسليم بسند .

يقول الخصم لا نسلم المقدمة الأولى المذكورة.

لأنه يجوز أن يمتنع اعادة المعدوم بعينه ، ولا يمتنع وجوده - ابتداء (أولا) وسند المنع " أن الوجود الثاني (الاعادة أخص والوجود أولا وجود مطلق أعم .

والقاعدة أن امتناع الخاص لا يلزم منه امتناع العام ،كما أنه لا يلزم من امكان العام امكان الخاص .

يريد أن يقول الخصم : أنه لا يلزم من الوجود الأول والوجود الثاني بمعنى لا يلزم من الوجود الابتدائي

---

(١) المنع : معناه طلب الدليل على المقدمة الممنوعة ، وتارة يكون بسند وتارة يكون مجردا عنه . المصدر السابق : ص ٣٦ .

الاعادة ثانيا . كما لا يلزم من امتناع الوجود الثانى الذى هو الاعادة امتناع الوجود ابتداء .

ولذلك يقال : ان الوجود الثانى امتنع لكونه خاصا ، ولا يؤثر ذلك فى امتناع مقابله الذى هو الوجود الأول . ومثال ذلك : اذا قلت للطالب لا تذاكر فى وقت العصر ، فان هذا لا يمنع من مطلق المذاكرة ولا من المذاكرة فى وقت آخر غير وقت العصر . (١)

يرد المستدل : بالقول بأن الوجود من حيث هو واحد لا يختلف بحسب الأزمنة ، فالوجود أولا وثانيا واحد ، وكونه أولا وثانيا أمر عارض لا يغير الماهية . والماهية من حيث هى اذا أخذت حكما من الاستحالة أو الامكان . أو الوجوب يستمر هذا الحكم ولا يتغير .

فمثلا : لو أعطينا الوجود الثانى امتناعا لذاته أى لكونه وجودا وجب أن يعطاه الوجود الأول لأن ما بالذات لا يتخلف. (٢)

---

(١) شرح مطالع الأنظار ص ٢١٥ . وانظر : المواقف للايجى جـ ٨
(٢) المواقف للايجى جـ ٨ .

هذا وقد ظهر لك أن موقف المستدل قوى لأنه ناظر الى الاستحالة الذاتية التى هى موضع نزاعه مع خصمه .

ويقوى ويدعم رأى المستدل أيضا فى رده على خصمه وهو أن الخصم بناء على كلامه قد جوز الانقلاب من الامكان الذاتى الى الاستحالة الذاتية حيث أعطى حكم الاستحالة الذاتية للوجود الثانى (الاعادة) مع امكان الوجود الأول .

لقوله انه لا يلزم من الامتناع للوجود الثانى (الاعادة) امتناع الوجود الأول .

وبذلك يحوى كلامه وينطوى على جواز الانقلاب من الامتناع الذاتى الى الوجوب الذاتى .

وعلى ذلك يترتب احالات ثلاث :-

أولا :- مخالفته لبديهة العقل ، اذ العقل يحيل بداهة بأن المستحيل لذاته ينقل الى الواجب لذاته .

ثانيا :- أن فى هذا الانقلاب استغناء الحوادث عن المحدث ، متى جاز كون الوجود الفعلى واجبا لذاته

فلا يحتاج الى محدث وذلك محال لأن كل حادث لا بد له من محدث يحدثه .

ثالثا :- وهذه الاحالة مبنية على الاحالة الثانية ، بمعنى أنه اذا كانت الحوادث يجوز أن يكون وجودها من ذاتها فيلزم على هذا انسداد باب اثبات الصانع وهذا محال أيضا لأن وجود الصانع ثابت بالنقل والعقل . (١)

والخلاصة :- أن الخصم يؤخذ من كلام جواز الانقلاب من الامكان الذاتي الى الامتناع الذاتي في صورة احالة وجود معدوم ثانيا لذاته وترتب على هذا التجويز : جواز الانقلاب من الامتناع الذاتي الى الوجوب الذاتي .

وكل من الانقلابين ممنوع ، الا أن منع الثاني أشد لما فيه من المخالفة لبديهة العقل وذلك لأنه لا صلة بين امتناع وبين وجوب فهما على طرفي نقيض ، بخلاف الانقلاب من الامكان الى الامتناع فانه وان كان محالا أيضا الا أن الاحالة ليست بديهية ، مثل الأول لأن الامكان فيه عدم وجود .

(١) محاضرات في التوحيد ص٢٧ ، ص ٢٨ الشيخ صالح شرف .

ولذا كان قريبا من المستحيل ٠

المنع الثانى للخصم :-

يقول الخصم امنع الملازمة القائلة : " لو استحال الوجود الثانى لذاته للزم استحالة الوجود الأول ٠

وسنده : أن الوجود الثانى استحال من صفة لازمة للعدم - وهى طمر ولا أفضلية بالنسبة لها لأنها قدرة قديمة وقدرة العباد حادثة ٠

ولذلك أشار الايجى الى الاقتباس من قوله تعالى (وله المثل الأعلى) ٠ أى أنه سبحانه وتعالى مثل أعلى يستوى عند قدرته حال البدء المعدوم وحال الاعادة له لشمول قدرته لجميع الممكنات ٠

وانما عنى بالأهونية الخلق وأن مايعهدونه فى قدرتهم متفاوت ٠ فبعض الممكنات أسهل على البعض دون البعض الآخر ٠ فالايجاد والصنعة ثانيا أسهل وأيسر عليهم من الايجاد أولا ٠ فكذلك اعادة الله للمعدوم ثانيا

بالقياس الى قدرتهم أسهل عليه من البدء ، ولكن الله سبحانه له المثل الأعلى أى الصفة التى هى أعلى من كل صفة. (١)

موقف الخصم من هذا الدليل :ـ

يمنع الخصم المقدمة الصغرى الذى أوردها الايجى بقوله " الاعادة أهون من الابتداء ".

وسند منعه : أن هذا المعدوم مثل المعدوم الأول لأنه صار بالعدم فناء محضا ، فكيف يقال : ان ايجاده أهون مع أنه تساوى مع العدم الأول ؟ فلا أهونية فى ايجاده حتى بالنسبة لقدرة العبد الحادثة .

وانما يتصور الأهونية فى الاعادة عن تفريق الأجزاء الميت أو فى ايجاد مثل للأول لا عينه كما يدعى أهل السنة .

والحق أن هذا المنع من قبل الخصم قوى لكونها غير متصورة فى اعادة المعدوم وانما تتصور فى الاعادة عن تفريق لأجزاء الميت .

ولهذا قال الايجى فى المواقف ـ كما سبق ـ " ويمكن

(١) محاضرات فى التوحيد ص ٢٩ للشيخ صالح شرف .

أن يقال الاعادة أهون " اشارة الى ضعف هذا الدليل ، ولذلك كان تعبيره " بقوله " يمكن . . . " .

هذا وقد أقام سعد الدين التفتازاني دليلا مبسطا على جواز اعادة المعدوم بعينه .

فقال : " ان المعدوم ثانيا هو عين المعدوم أولا ، وقد توسط بينهما الوجود الأول .

فهذا الوجود ان لم يزد المعدوم ثانيا قبولا للوجود فلا ينقصه عن درجة القابلية للوجود ثانيا . " (١)

---

(١) المقاصد .